اللغات السامية (1)

بدأ التقدم الحقيقي في علم اللغة بعد أن اكتشف الأوروبيون اللغة السنسكريتية (لغة الهند القديمة) ، وقد لاحظ العلماء الأوروبيون الشبه الواضح للسنسكريتية باللغات الأوربية القديمة من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية .

فلقد اكتشف في عام 1786م مسئول الحكومة البريطانية السيد ويليام جونز الذي كان يعمل بالمحكمة العليا في الهند أن اللغة القديمة للقانون الهندي الذي كان يدرسه وتعرف بالسنسكريتية، لها صلة باللغة اليونانية واللاتينية، فاللغة السنسكريتية أكثر إحكامًا من اليونانية وأغزر إنتاجًا من اللاتينية، وأصفى نقاء من كليهما وتشترك معهما في الأفعال، وأشكال القواعد.

وكان فرديج شليجل F. Schelgal أول من طالب بدراسة البنية اللغوية للغة السنسكريتية ، وقد رأى أن اللغات الأوربية القديمة مثل الإغريقية واللاتينية والجرمانية من أصل سنسكريتي ، وساد اعتقاد في القرن الثامن عشر أن السنسكريتية هي الأصل النقي القديم لطفولة اللغة البشرية ، ولكن هذا الاعتقاد زال بعد تقدم البحث اللغوي .

وقام فرانتس بوب بمقارنة اللغات الأوربية المختلفة للتعرف على اللغة الأقدم التي خرجت منها كل هذه اللغات وكان البحث اللغوي في النصف الأول من القرن التاسع عشر موجها نحو البحث عن اللغة الأقدم ، ولذا ارتبط البحث بالنصوص القديمة ، وكانت بحوث الأوربيين تعني بدراسة اللغات الهند أوربية .

وقد أخذت البحوث اللغوية منهجًا علميا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . استفادت في ذلك من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية ، وحاولت استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي ، وبدأت الكشوف الكثيرة التي تمت في القرن التاسع عشر ، وأماطت اللثام عن لغات قديمة بائدة .

---

(1) لقد أعددت هذا الموضوع سنة 1999م بالزمالك . القاهرة .

واكتشفت اللغة المصرية القديمة والأكدية والعربية الجنوبية ، وذلك من خلال الكشوف الأثرية ، وظهر علم اللغة المقارن في تلك المرحلة ، وقام أتباع هذا المنهج بالمقارنة بين اللغات الهندية والأوربية ، ثم باقي اللغات للتعرف على بقية الأسر اللغوية ، وهي الأسر التي يجمعها أصل واحد تفرعت منه .

وقسم اللغويون الأوربيون في القرن التاسع عشر اللغات المختلفة إلى مجموعات . فهناك أسرة اللغات الهندية – الأوربية التي تضم عددا كبيرا من اللغات المنتشرة في منطقة شاسعة تبدأ من الهند وإيران إلى أوربا . وهناك أسرة اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة العربية ، وتسمية «اللغات السامية» غير دقيقة علميًا، فقد أخذ هذا الاسم من الكتاب المقدس الذي جاء فيه أن نوحًا خلف ثلاثة بنين ينتسب إليهم البشر جميعًا هم: سام، وحام، ويافث، ولم يذكر شيئًا عن ذرية من آمن مع نوح، وهذا التقسيم العرقي للبشر ونقاء الجنس أو السلام اختلف فيه العلماء ولم يقبله بعضهم، وإلى جانب هاتين الأسرتين الكبيرتين هناك أسرات لغوية كبيرة أخرى . ويقوم تصنيف اللغات إلى أسرات على أساس أوجه الشبه بين هذه اللغات من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، وهذا التصنيف يعني أن اللغات المندرجة في أسرة لغوية واحدة ترجع إلى لغة واحدة ، وهي الأصل الذي تفرعت منه لغات الأسرة كلها .

وتنقسم الأسرة الهندية – الأوربية إلى عدة أفرع ، وهي الفرع الروماني ، ويضم – الفرنسية والإيطالية والأسبانية والرومانية ، وهي اللغات اللاتينية ، والفرع الجرماني ، ويضم الإنجليزية والألمانية والنوردية القديمة والدانمركية [1]. والفرع اليوناني ، ويضم اليونانية الكلاسيكية ، وهي لغة اليونان القديمة ، واليونانية الحديثة لغة اليونان الحديثة . الفرع السلافي ، ويضم الروسية والبولندية والأكرانية والتشيكية والسلوفاكية والصربوكرواسية والبلغارية ، وهذه الأفرع يحتوي كل فرع منها على لهجات إلى جانب اللغات المعروفة التي ذكرناها . ويطلق مصطلح اللغات الأفر أسيوية على مجموعة كبيرة في غرب أسيا وشمال أفريقيا ، ومنها اللغات السامية ، وقد صنفت هذا اللغات في أسرة واحدة

---

(1) علم اللغة العربية الدكتور حجازي ، وكالة المطبوعات بالكويت . 119 ، 120 .

لوجود خصائص مشتركة بينها ، ثم تباعدت خصائصها بعد ذلك على مدى التاريخ .

وتضم هذه الأسرة اللغات السامية: العربية (الشمالية والجنوبية) والأكدية والآشورية والكنعانية والآرامية والحبشية ، وتضم اللغات المصرية القديمة والبربرية والتشادية والكوشية[1].

وتضاربت الآراء حول موطن الساميين الأصلي ، وأرجح تلك الأقوال أنهم هاجروا من جنوب جزيرة العرب ، وأنا أميل إلى هذا الرأي ، فقد كان جنوب الجزيرة موطن استقرار وحضارة ، كما يعد موطن طرد سكاني حيث هاجرت منه أمم عديدة إلى الشمال ، وقد حدثنا التاريخ عن هجرة بعض القبائل العربية من الجنوب ، فسكنوا العراق والشام ، وكانت الهجرة العربية من الجنوب إلى الشمال متأخرة عن هجرة الأكديين والكنعانيين ، ولم تتجه الهجرة إلى الشمال فقط ، بل اتجهت غربا نحو أفريقية ، فقد عبر بعض الساميين مضيق باب المندب في مقابل اليمن وصبغوه بالصبغة السامية ، وغلبوا سكانه الأصليين من الحاميين ، وأطلق على لغتهم الحبشية ، ودخلت السامية في صراع مع لغات السكان الأصليين ، فقد استطاعت لغة الوافدين أن تدخل في صراع معها حتى صارت الغلبة لها رغم تأثرها باللغات الموجودة بأرض المهجر ، فقد « كان السومريون أكثر حضارة ، وكان الأكديون الوافدون فيما يبدو لا يقلون عن السومريين عددا ، ولذا لم تستطع الأكدية أول الأمر أن تقضي على السومرية في العراق ، فقد وقع فيها ازدواج لغوي استمر أكثر من ستة قرون (2500ق .م-1900ق .م) وفي هذه الفترة اختلط السومريون البسطاء بالسومريون الأكثر حضارة ، واندمج السومريون شيئا فشيئا مع الساميين الأكديين ، واستطاعت اللغة الأكدية في النهاية أن تنتصر على اللغة السومرية ، وتحل محلها في الخطاب اليومي ، واستخدمت الخط المسماري ، فلم يكن للأكاديين الوافدين خط أو رسم كتابي يدونون به لغتهم ، استعاروا الخط المسماري من لغة السكان الأصليين ، وقد تأثرت الأكدية ببعض

---

(1) يطلق بعض العلماء اسم اللغات الحامية على: اللغات البربرية، والنوبية، ولغة الهوسا، والفولبا، ويطلقون اللغات الكوشية على: لغات البشارية، والبجة، والماهو، والجالا، والصومالية. وقد عرفت هذه اللغات جميعًا بالحامية، نسبة إلى أولاد حام الذين سكنوا أفريقيا على ما جاء في العهد القديم.

مظاهر اللغة السومرية ، فقد اختفت منها بعض الأصوات الحلقية (ع ، ح ، هـ) ، وهي من أصوات السامية الأم .

وتنقسم اللغات السامية إلى عدة فروع رئيسية ، ويتفرع كل فرع منها إلى مجموعة من اللهجات يطلق عليها لغات:

- لغات المنطقة الشرقية ، وتشتمل على اللغة البابلية ، واللغة الآشورية .
- لغات المنطقة الغربية ، ويشتمل على اللغات: الكنعانية ، واللغة الآرامية . وتفرعت الكنعانية إلى ثلاث فروع ، وهي فرع شمالي ، وبقيت منه اللغة الأجريتية ، وفرع متوسط وهو الفينيقية ، والفرع الجنوبي . وهو العبرية .
- لغات المنطقة الجنوبية ، ويشتمل على العربية ، والحبشية ، وتتفرع العربية إلى فرعين فرع جنوبي وفرع شمالي ، ولغات الفرع الجنوبي هي السبئية والقتبانية والحميرية والحضرمية والهرمية .

والفرع الشالي ، ويتفرع إلى فرع مندثر اندثر باندثار أهله ، وهم العرب البائدة: عاد وثمود وطسم وجديس ، وفرع لغة العرب الباقية ، وهو الذي عم لهجات العرب ، وهو التي نزل بها القرآن الكريم ، وفيه لهجات مشهورة وغير ذلك، وقد توحدت على اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

وتتفرع الحبشية هي الأخرى إلى فروع ، وهي: الأمهرية والتيجرينية والتيجرية والهررية والجوراجية . ونتناول فيما يأتي فروع اللغات السامية:

اللغة الأكدية:

وهي لغة في الفرع الشرقي الشمالي من اللغات السامية ، وسميت باللغة الأكدية (أو الأكادية) نسبة إلى «أكد» أول مدينة سكنها الساميون الوافدون في شمال بابل بأرض العراق حوالي سنة 2500 ق .م ، وقد أطلق عليها هذا الاسم تمييزا لها عن اللغة السائدة في جنوب الرافدين آنذاك ، وهي اللغة السومرية لغة السكان الأصليين (5000-6000ق م) ، والسومريون شعب ذو حضارة زراعية ، وكانت له رموز كتابية تعرف بالمسمارية ، وكانت

كتابتهم مقطعية (تدل رموزها الكتابية على الأصوات الصامتة وحركتها) . ويطلق على هذه اللغة أيضًا اللغة البابلية، نسبة إلى بابل، وهي عاصمة للمملكة التي أقامها الساميون بالعراق، ولكن بعض العلماء أطلق عليها اسم الأكدية ليميزها عن اللغة السومرية في الجنوب . وتطلق اللغة الأكدية عند بعض العلماء على اللغة البابلية والأشورية معًا لقرب الشبه بينهما وتداخلهما.

ويضم الفرع الأكادي أو الأكدي من اللغات السامية كل اللغات واللهجات التي نشأت عن اللغة السامية الأولى ، وقد دخلت أرض العراق مع الوافدين الساميين إليها سنة 2500 ق .م [1] . ولا شك أن الأكدية قد تأثرت باللغة السومرية بالرغم أنها دخلت في صراع معها دام نحو ستة قرون ، وكان النصر حليفا للغة الدخلاء الوافدين من الساميين .

واللغة السومرية من أقدم اللغات التي دونت ، وقيل أقدمها ، وقد أظهرت الكشوف الحديثة عددا كبيرا من النقوش السومرية ، واتضحت ملامح اللغة السومرية ، وملامح الحضارة التي سجلها السومريون بلغتهم ، ولكن لم يستطع العلماء التعرف على الأسرة التي تنتمي إليها السومرية ، فبعض العلماء يرى أنها تنتمي إلى اللغات الهندأوربية ، لوجود صلة بينها وبين السنسكريتية القديمة . ويرجح بعض العلماء أنها تنتمي إلى أسرة بادت كل لغاتها ، ولم يكتبها أهلها ، ولم يبق لها أثر يعين على معرفتها ، فلم تكن الكتابة شائعة ، فكانت معظم اللغات شفاهية منطوقة غير مكتوبة .

واللغة الأكدية هي أقدم لغة سامية مدونة ، فقد دونت أقدم نصوصها حوالي سنة 2500ق .م ، والأكديون هم الجماعات السامية التي هاجرت من مهد الساميين في جزيرة العرب – على أرجح الأقوال – إلى العراق ، وتعد هذه الهجرة أقدم الهجرات السامية ، وكان العراق قبل هجرة الساميين إليه مركز حضارة السومريين ، والسومريون شعب لا علاقة له بالساميين ، ولغته تختلف اختلافا كبيرا عن اللغات السامية ، بل عن اللغات الأفروأسيوية بأسرها .

---

(1) علم اللغة العربية الدكتور حجازي ص151 .

تعلم الساميون الوافدون من السومريين نظام الكتابة ، وكان السومريون يدونون لغتهم برموز تشبه المسامير ، فأطلق عليها الكتابة المسمارية وذلك يرجع إلى أشكال الكتابة الوتدية Wedge التي كانت تنقش في ألواح من الطين أو تحفر في حجر بآلة، وتعتمد هذه الرموز المسمارية – بصفة عامة – على تدوين كل كلمة بعد تقسيمها إلى مقاطع ، ولذا فهي كتابة مقطعية من ناحية الأساس العلمي ومسمارية من ناحية الشكل، وقد احتاجت إلى عدد كبير من الحروف للتعبير عن المقاطع الصوتية المختلفة والحركات التي تصحب الحرف.

وهذا الخط – رغم تعقيده وصعوبته – له من ناحية التعبير عن الواقع المنطوق ميزة واحدة هو أنه يدون الحركات ضمن المقطع ، فالمقطع الواحد يتكون من صامت وحركة على أقل تقدير ، ومثال ذلك كلمة « كَلْبُ » بالأكدية ، يتكون المقطع الأخير من الباء والضمة صامت + حركة صائتة وهي الضمة) ، ويدون برمز مسماري مخالفا للرمز الدال على الباء والفتحة ، ويختلف عن الرمز المسماري الذي يدل على الباء والكسرة [1]. وأهم ما احتفظت به الأكدية من اللغة الأم ظاهرة الإعراب حيث تظهر على أواخر الكلمات علامات الرفع والنصب والجر على نحو ما نجد في الأسماء العربية المعربة ، وتختلف عن باقي اللغات السامية باختلاف بعض أصوات الحلق (ء-هـ-ع-ح-غ-خ) فقد اختفت أصوات العين والحاء والهاء من الأكدية ، ويبدو أن ذلك نتيجة تأثير اللغة السومرية التي لا تعرف هذه الأصوات الحلقية ، وهذا يرجح أنها من فروع اللغات الهندأوربية عند بعض العلماء.

وقد تغلغل نفوذ الأكديين في العراق ، وتغلبوا على سكان العراق الأصليين السومريين إلا أن هذا لا يعني تلاشي لغة السومريين وعدم تأثرهم في اللغة الأكدية ، فقد ساد المنطقة ازدواج لغوي بين الأكدية والسومرية امتد نحو ستة قرون منذ دخول الأكديين العراق (2500 ق .م) ، وتوجد نقوش بكلتا اللغتين من هذه الفترة ، ويقسم العلماء النقوش الأكدية المدونة بعد ذلك إلى عدة مراحل تاريخية لغوية (بابلية وآشورية) ، فقد امتدت اللغة الأكدية من القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد حتى سقوط آخر الدول الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد ، وكانت اللغة الآرامية تزاحم الأكدية في العراق حتى غلبتها بعد أن

---

(1) المدخل إلى علم اللغة ، دكتور حجازي ص100 ومعرفة اللغة، يول ص24، 25.

دخلت في صراع معها ، وهذه المراحل التاريخية هي: المرحلة القديمة ، ثم الوسيطة ، ثم الجديدة ، ثم المتأخرة .

والمرحلة الأولى في تاريخ الأكدية هي المرحلة التي دخلت فيها في صراع مع لغات السكان الأصليين من السومريين ، ووقع ازدواج لغوي أي وجود لغتين في المنطقة ، وستكون الغلبة لمن له السلطان السياسي ، ومن يتمتع بمستوى حضاري راق . وأدى ذلك في النهاية إلى سيادة اللغة الأكدية ، وتلاشت اللغة السومرية ، ويوجد عدة من النقوش السومرية والنقوش الأكدية في هذه الفترة التي ساد فيها ازدواج لغوي ، وقد تركت السومرية آثارا في حياة الأكديين ، فلقد تعلم الأكديون الكتابة من السومريين ، فسجلوا لغتهم بالخط المسماري ، ومن أشهر اللغات القديمة التي كتبت بالخط المسماري اللغة الحيثية بآسيا الصغرى ، وهي لغة هندية – أوربية ، وليست هناك علاقة قرابة بين السومرية والأكدية ، وكذلك السومرية لا تربطها علاقة باللغة الحيثية .

وتقوم الكتابة المسمارية على أساس صوتي ، فالكلمة تقسم إلى مقاطع ، ولكل مقطع رمز يكتب به . وبهذا يختلف الخط المسماري عن الأساس الذي يقوم عليه الخط الهيروغليفي الذي كتبت به في الفترة الزمنية نفسها اللغة المصرية القديمة ، فالخط الهيروغليفي لا يقوم على تدوين الصوت المنطوق ، بل على أساس الكتابة بالصورة ، في حين أن الخط المسماري يبين طبيعة اللغة الأكدية ، ويجسد النطق الصوتي لها[1] ، ومثال ذلك حركات الإعراب التي تظهر على نهاية كلمة « كلب »[2].

الحالة الإعرابية	الأكدية القديمة	الأكدية الوسيطة والجديدة والمتأخرة
الرفع	Kalbum	Kalbu
النصب	Kalbam	Kalba
الجر	Kalbem	Kalbe

(1) ارجع إلى: معرفة اللغة، يول، ص23، 24. وموجز تاريخ علم اللغة ص223 .

(2) ارجع إلى: علم اللغة العربية ص154 .

ونجد تشابها بين النهاية الإعرابية في الأكدية والعربية ، وتتحدد هذه النهاية بوظيفة الاسم في الجملة ، والميم التي تنتهي بها الصيغ المذكورة في الأكدية القديمة والتي تعرف بظاهرة التميم فتقابل نون التنوين في العربية ولها بقايا في العربية مثل: ابنم، وفم، فأصلها بنووفوه . وأما حروف الحلق في السامية ، والتي تعد سماتها المميزة ، فقد اختفت في الأكدية ، ولعل ذلك من تأثير السومرية فيها ، فاللغة السومرية لا تعرف من حروف الحلق سوى الهمزة والخاء ، فاختفت حروف الحلق منها ، فقد قلد الأكديون السومريين في عدم نطقهم: العين والحاء والهاء ، ومثال ذلك الكلمات: بعل، قمح، نهر، ونوضحها فيما يأتي[1]:

الصيغة السامية والعربية	الصيغة الأكدية دون النهاية	الصوت المفقود	التعويض
بعل	Be:L	العين	مد الحركة
قمح	Qe:m	الحاء	مد الحركة
نهر	Na:r	الهاء	مد الحركة

ولقد تأثرت الأكدية بالسومرية في نطق الضاد والظاء أيضًا، وظهر الأثر واضحًا في المفردات فقد انتقلت كلمات من السومرية إلى الأكدية ، وانتقلت من الأكدية إلى العبرية والعربية بعد ذلك ، فقد دخلت العربية بعض الكلمات السومرية ، مثل: هيكل ، في السومرية Ekollum: البيت الكبير . ودخل العبرية ، فأضافت إليه هاء ، وانتقل منها إلى الآرامية والعربية ودخلت كثير من مفردات الحضارة والحياة اليومية التي استعارها البابليون لخطابهم اليومي .

وامتد التأثير السومري أيضا إلى بناء الجملة الأكدية حيث يأتي الفعل السومري في آخر الجملة ، بينما يأتي في اللغة السامية في اول الجملة ، فتسمى جملة فعلية ، وقد يأتي في الجملة الاسمية خبرا ، ولكن اللغة الأكدية تأثرت بالسومرية ، فقد أتى الفعل في نصوص نثرية في آخر الجملة ، ولكن احتفظ بالصدارة في أول الجملة في الشعر الأكدي .

---

(1) علم اللغة العربية ص156 . وأسس علم اللغة العربية ص158 .

وترجع أهمية اللغة الأكدية إلى أنها أقدم لغة سامية دونت ، ولذا يعد وجود أية ظاهرة لغوية في الأكدية والعربية دليلا إلى كون الظاهرة موروثة عن اللغة السامية الأولى ، ويمكن التأريخ لأقدم الظواهر في اللغة السامية عن طريق المقارنة بالأكدية والعربية .

ودخل الأكديون في الإمبراطورية الفارسية ، وانهار الاستقلال السياسي في المنطقة اللغوية ، وظلت الأكدية لغة الحياة والدولة حتى القرن السابع قبل الميلاد ، وبسقوط الدولة الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد بدأ احتضار اللغة الأكدية في حين بدأ انتشار الآرامية بعد أن اتخذتها الدولة الفارسية في دواوينها ، فصارت لغة الحديث والمعاملات اليومية ، وأهم الآثار التي خلفتها الأكدية: ملحمة جلجاميش وشريعة حمورابي وعدد كبير من النقوش ذات المضمون السياسي والاجتماعي [1] وتعد اللغة الآشورية امتدادًا للغة الأكادية أو قريبة الشبه بها ، وقد أطلق العلماء على البابلية (الأكدية) والآشورية اسمًا واحدًا ، وهو الأكدية نسبة لأول مدينة سكنها الساميون في العراق .

وتعد اللغة العربية والأكدية أقدم لغتين ساميتين ، ولكن الأكدية تعد أسبق اللغات السامية تدوينًا ، حيث ترجع بعض نصوص الأكدية القديمة إلى نحو خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد تقريبا .

اللغة الآشورية

وهي اللغة السامية الثانية التي أعقبت البابلية (أو الأكدية) التي تكلمها من سبقوهم من إخوانهم إلى العراق وعاشوا في أكَّد ثم بابل، والآشورية نسبة إلى مدينة آشور التي جعلها الآشوريون عاصمة لهم بعد أن ضعف ملك الأكاديين، وهي قريب التقاء نهر دجلة بنهير الزاب، ولغتهم قريبة الشبه بالبابلية أو الأكدية، وأطلق عليها بعض العلماء الاسم الأخير لقرب شبهها بها، وتميزًا لها عن السومرية، فهي والأكدية من أصل واحد بيد أن السومرية ليست منهما، وقد تمكن الآشوريون من إقامة ملك لهم بديلاً لملك إخوانهم الأكديين الذين سبقوهم وصارت لهم السيادة بعد هجرتهم إلى العراق بنحو مائتي سنة، فقد هاجروا إلى

---

(1) علم اللغة العربية ص156 ،157 .

العراق سنة 3500 ق.م، وأسسوا آشور 1300 ق.م ، واستولوا على بابل سنة 800 ق.م، وواصلوا توسعهم إلى سوريا وفلسطين، وصارت لهم دولة قوية، ثم ضعفت، فغزاها الكلدانيون والسريان، وقد تأثروا باللغات المحلية وخاصة السومرية فاتخذوا نظامها الكتابي فكتبوا به.

اللغة الأجَريتية

هي الفرع الشمالي من اللغة الكنعانية ، وتعد اللغة السامية الثانية من ناحية تاريخ تدوين أقدم النقوش ، فقد دونت نقوشها حوالي سنة 1400 ق .م أي بعد مائة سنة من هجرة الأكديين إلى العراق شرقًا ، واللغة الأجريتية (أو الأوجاريتية) تنتمي إلى الكنعانية ، وقد اكتشف العلماء النقوش الأجريتية سنة 1929م في أطلال مدينة قديمة تسمى « أجريت»[1] بالقرب من « راس شمرا » على ساحل الشام ، وقد جاء هذا الاسم في النقوش المكتوبة ونسبت اللغة إليها . وتمثل اللغة الأجريتية أقدم لغة سامية عرفتها منطقة الشام .

والأجريتية تميز بين أصوات تداخلت بعد ذلك في العبرية مثل (الحاء والخاء الساميتان القديمتان) ، فقد تحولت الخاء السامية إلى حاء في العبرية ، والأجريتية تميز بين الحرفين في النطق مثلها في ذلك مثل العربية ، ولكن التقى الحرفان في صوت واحد وهو الحاء في العبرية .

وقد دونت الأجريتية بخط أبجدي ، ويعد هذا الخط مرحلة متطورة نقلت نظام الكتابة إلى مستوى بسيط ودقيق إلى حد بعيد . فقد طور الأجريتيون نظام الكتابة إلى أبجدية ، وتقوم الكتابة الأبجدية على أن يعبر الرمز الواحد أو الحرف عن صوت واحد من أصوات اللغة ، وبهذا يحتاج تدوين اللغة إلى عدد محدود من الرموز .

ويعد الأجريتيون بهذا هم أول من حاول تبسيط نظام الكتابة ، وأخذت عنهم باقي

---

(1) المدخل إلى علم اللغة ص102 ، تنطق مدينة أجريت بضم الهمزة وفتح الجيم ، وتكتب كذلك أوجاريت .

الحضارات فكرة الكتابة الأبجدية ، أما من ناحية الشكل ، فقد دون الأجريتيون حروف أبجديتهم برموز تشبه المسامير ، ولذا تعد الكتابة الأجريتية كتابة مسمارية أبجدية ، فقد وضعوا نظاما أبجديا جديدا ، أكثر تطورا وأسهل كتابة من الخط السومري ، وأقل عددا منه ، ولكنه تأثر بالشكل الذي كتبت به اللغة الأكدية . وللكتابة الأجريتية موقع فريد بين الكتابات السامية ، لأنها مكتوبة بأشكال مسمارية ، فهي بذلك تشبه الكتابات الشمالية في كونها ألفباء ، وتشبه الكتابة الأكدية في كونها مسمارية ، وقد اختلفت الآراء حول أصل هذه الألفباء .

وقد تم اكتشاف النقوش الأجريتية وفك رموزها في آذار سنة 1928م في رأس شمرا- أجريت قديما الواقعة شمال اللاذقية – ، وقد قامت البعثة الفرنسة بالتنقيب عن آثار هذه المنطقة فعثرت على ألواح طينية مكتوب عليها بخط مسماري لم يكن معروفا من قبل ، وهو خط منسي منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، كما اكتشفوا عددًا من الألواح في السنة التالية ، فتم الكشف عن أجريت القديمة ، وقد قام بفك رموز الأجريتية ثلاثة علماء ، وهم الألماني H.Bauer والفرنسيان E.Dhorme وch.Viroleaud وقد افترض Bauer أمرين لفك طلاسم الكتابة أولهما: أن الكتابة الأجريتية ألفبائية ، وذلك أن عدد أشكالها (27حرف) فيما هو أرجح ، بالإضافة إلى ثلاثة أخر ، ويوحي هذا لخط بنظام ألفبائي لا مقطعي . والأمر الثاني: أن لغة هذه النقوش سامية . فاستطاع أن يفك الرموز الأجريتية فكًا شبه كلي في أيام قلائل [1].

وقد بينت تلك الكشوف أن اللغة الأجريتية إحدى فروع اللغات السامية ، وتنتمي إلى الفرع الكنعاني الشمالي في منطقة الشام التي عاش فيها بعض المهاجرين الساميين الوافدين إليها من الجنوب الموطن الأصلي للسامين .

وينقسم الفرع الكنعاني السامي على لغات محلية تتوزع في المنطقة الشمالية الغربية من الجزيرة (سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الأردن) قسم شمالي ، ولم يبق منه إلا الأجريتي ،

---

(1) الكتابة العربية السامية ودراسة في تاريخ الكتابة ، وأصولها عند الساميين ، دكتور رمزي بعلبكي ، دار العلم للملايين ص89 وما بعدها .

والعمورية ، وهي لغة مندثرة لا أثر لها ، واللغة الأجريتية هي اللغة الوحيدة المعروفة للباحثين من لغات الفرع الكنعاني الشمالي ، فقد كانت هناك لغات أخرى مثل العمورية بادت منذ زمن بعيد ، وليست هناك نقوش مدونة بها ، ومن ثم لم يتعرف العلماء على صورة واضحة لها بين اللغات القديمة ، وقد جاء اسم مدينة أجريت التي نسبت إليها اللغة الأجريتية في مراسلات وجدت بالعراق ومصر من القرنين الثامن عشر والرابع عشر قبل الميلاد ، واللغة الأجريتية هي آخر لغة اكتشفت في القرن العشرين 1929م ، فلم تكن معروفة قبل هذا التاريخ .

وقد وجد العلماء أن النقوش الأجريتية مكتوبة بخط مسماري ، وهو الخط الذي كتبت به من قبل اللغات السومرية والأكدية والحيثية ، ولكن عدد الحروف التي استخدمتها الأجريتية أقل من الرموز المستخدمة في الخط المسماري ، وذلك يرجع إلى طبيعة الكتابة الأكدية ، واختلافها عن الكتابة الأجريتية ، وذلك أن الأكديين كتبوا لغتهم برموز مسمارية يدل كل منها بصيغة عامة على مقطع ، وقد تطلب ذلك مئات الرموز ، ولكن الأجريتيين يسروا نظام الكتابة ، فكتبوا لغتهم برموز قليلة لا تتجاوز الثلاثين ، ولم تعد هناك حاجة إلى كم العدد الذي استخدمه الأكديون .

لقد عبر الأجريتيون عن كل صوت من أصوات اللغة بحرف واحد ، ولذا كانت الحروف بعدد الوحدات الصوتية الموجودة في لغتهم ، غير أنهم جعلوا للهمزة المفتوحة رمزا ثم للهمزة المضمومة رمزا ، ثم للهمزة المكسورة رمزا ، وهذا القصور في تدوين الهمزة أصبح ميراثا تناقلته كل الكتابات السامية بعد ذلك . وبذلك كان الأجريتيون أول من دون اللغة تدوينا صوتيا يقوم على أساس استخدام الحرف الواحد للوحدة الصوتية الواحدة ، وقد كانت الهيروغليفية تدون بكتابة صورية مقطعية . والطريقة التي اتبعها الأجريتيون في الكتابة جعلت اللغة في متناول الجميع ، وقد شاع بين الباحثين أن الإغريق هم أول من وضع الأبجدية المقطعية التي ترمز فيها الحروف إلى الصوامت والصوائت ، أو يرمز للصوت الصامت برمز كتابي ، ويرمز كذلك إلى الحركات برموز كتابية ، والطريقة التي استخدمها الأجريتيون في الكتابة مكن لها أن تمضي في ركب الحضارة ، وأن تستخدمها في

الأمم الأخرى ، كما قام الفينيقيون من بعدهم بتعديل هذه الطريقة لتخرج في وضع أيسر ، فانتشرت الكتابة بين الأمم ، ولكن الكتابة التي استخدمها الأجريتيون تعد قاصرة عن الكتابة الأكدية في جانب اختفاء الحركات بها والاكتفاء بالرمز إلى الصوامت ، فالرمز المقطعي الذي كتبت به الأكديون كان يدل على الصامت مع الحركة ، فالباء المضمومة يختلف رمزها عن رمز الباء المنصوبة ، وكذلك المجرورة ، ومن ثم يمكن التعرف على البنية الصوتية للحركات الأكدية من خلال شكل الرمز الصامت مع الصائت ، ولكن شكل الكلمة الرمزي في الكتابة الأجريتية يفتقد إلى هذا الجانب ويعد قصورًا ، لأن الأجريتين لم يدونوا الحركات على الإطلاق ، بل دونوا الصوامت فقط . وقد ظلت الكتابات السامية تدون الصوامت دون الحركات على نحو ما فعل الأجريتيون عدة قرون حتى استحدثوا الحركات ، فوضع أهل كل لغة لأنفسهم رموزا للصوائت ، ليتمكنوا من النطق الصحيح للكلمات فزاد العبريون الحركات في كتابتهم، ووضح العرب الشكل في الكتابة في الرسم المصحفي أولاً، وانتشر منه في الكتابة عامة ، وقد مر ذلك أيضا بمراحل .

وقد وضع الأجريتيون لأول مرة في التاريخ النظام الأبجدي ، فقد رتبوا الحروف على طريقة: ا . ب . ج . د . ه . و . ز . ح . ط . ي . ك . ل . م . ن . س . ع . ف . ص . ق . ر . ش . ت . [مع ملاحظة أن رمز الألف «ا» (الخط القائم) رمز الهمزة، ثم استحدث العلماء رمزًا آخر للهمزة «ء» (رأس العين) وجعلوا حرف الهمزة القديم «ا» رمزًا لصوت الفتح الطويل الذي نسميه ألفًا] وقد ظل هذا الترتيب مستخدمًا عن الشعوب التي تعلمت الخط من الأجريتيين بطريقة مباشرة أو ممن أخذ عنهم ، وقد تعرض هذا للتعديل في بعض اللغات[1] . وقد وضح الخليل بن أحمد الترتيب الصوتي الذي يقوم على المخارج الصوتية، وأعاد تلميذه سيبويه النظر فيه وعدل بعضه، وهو: الهمزة، والألف، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقا، والضاد، والجيم، والشين، والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو. ووضع ترتيب آخر عربي يقوم على تشابه الحروف وهو المأخوذ به في التعليم:

---

(1) علم اللغة ص106

ء، ب، ت، ..... و، ى .

وتعد اللغة الأجريتية من اللغات السامية التي احتفظت ببعض سمات السامية الأم ، مثل الأكدية والعربية ، لأنها دونت في فترة مبكرة مكنت لها الاحتفاظ بالعديد من صفات الأم ، وهي في هذا الجانب تعد أقرب اللغات الكنعانية إلى العربية . فالعربية احتفظت بصفة عامة بالأصوات السامية الأولى ، فهي تميز بين الحاء والخاء ، وقد تحول هذان الصوتان في العبرية والفينيقية إلى صوت واحد ، وهو الحاء ، كما تميز العربية بين العين والغين ، وكذلك الأجريتية ، ولكنهما في العبرية صارا صوتا واحدا وهو العين .

وترجع أهمية دارسة الأجريتية إلى أنها تكشف عن كثير من ظواهر اللغة الأم ، كما تعين على دراسة أخواتها الساميات في مراحلها الأولى وما أدركها من تغير مثل عبرية العهد القديم ، والفينيقية ، كما أن دراسة هذه اللغة تعين على دراسة اللغات الكنعانية الأخرى ، كالعبرية ، والفينيقية ، والبونية .

ويلاحظ أن الأكدية قد ساهمت في وضع النظام المقطعي في الكتابة ، فقد رمزت إلى صوت وحركته برمز واحد ، ولهذا شكل الحرف باختلاف حركته ، وقد تسبب هذا في كثرة رموزها وصعوبة الكتابة بها ، فقام الأجريتيون بوضع رمز واحد لكل صوت ، وجردوا الرموز من الحركات تيسيرا على المتعلمين والكُتَّاب ، فلم تتجاوز رموزهم الصوتية ثلاثين رمزا (بلغت سبعة وعشرين رمزا) ، فكان هذا الأمر حسنًا في جانب تيسير الكتابة ، وكان سيئا بخلوه من الرموز التي تشير إلى الحركات التي تصاحب نطق الصوت ، ويرجع إليهم الفضل في تيسير النظام الكتابي الذي أخذه عنهم الفينيقيون وطوروه ، ونقلته عنهم الأمم التي احتكت بهم احتكاكا مباشرا أو غير مباشر ، ونسب إليهم اكتشاف الأبجدية ؛ لأنهم تواصلوا معهم وأخذوا الأبجدية عنهم فظنوا أنهم هم الذين وضعوها ، والحقيقة أن الأجريتيين هم الذين وضعوا النظام الأبجدي الميسر ، وقام بنشره الفينيقيون .

اللغة الفينيقية

تنسب الفينيقية إلى الفينيقيين ، وهم قوم كانوا يقيمون في بلاد العرب الجنوبية على سواحل المحيط الهندي ، والخليج الفارسي ، واستدل العلماء على ذلك من اسمهم ، فهو

مشتق من كلمة إغريقية هي: فينكي ، ومعناها: « النخيل » فبلادهم بها نخيل ، وهذا ينطبق على بلادهم بجزيرة العرب ، فلا يوجد نخيل بالبلاد التي هاجروا إليها ، وهي البلاد الواقعة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط: فلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، ومن أهم مدنها: صور وصيدا . وقد رأى المؤرخون أن هجرتهم كانت في أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد ، وقد كان لهم نشاط تجاري واسع مع البلاد التي تطل على البحر المتوسط .

ويرجع إليهم الفضل في نشر النظام الأبجدي الذي نقلوه عن الأبجدية الأجريتية ، فقاموا بتطويرها وتعديل حروفها لتلائم لغتهم ، فتعرفت الأمم التي احتكت بهم على نظامهم الأبجدي ، ففشى فيهم أن الذين وضعوا النظام الأبجدي هم الفينيقيون ، لأنهم تعلموا الخط منهم . ويعد اليونانيون هم أشهر الأمم التي تعلمت منهم ، فقاموا بتطويره ، وأضافوا إليه رموزا للصوائت ، فعالجوا أصوات الحركات التي تصاحب الأصوات الصامتة فنظامهم الكتابي مقطعي . وتمثل الفينيقية الكنعانية المتوسطة ، وقد تناولنا الفرع الشمالي منها ، وهو الأجريتية ، واللغة الفينيقية إحدى لغات المجموعة الكنعانية التي تم العثور عليها في الساحل الفلسطيني واللبناني والسوري ، فقد وجدت مجموعة نقوش في هذه المناطق ، وفي الساحل الأوربي الجنوبي ، وبعض مدن شمال أفريقيا القديمة ، وهي المناطق التي ارتبطت معها بعلاقات تجارية .

وأقدم ما عثر عليه العلماء من اللغة الفينيقية بضع جمل وجدت في مجموعة رسائل تل العمارنة بصعيد مصر ، وتمثل لهجة منطقة جبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ولكن أكثر النقوش ترجع إلى الفترة بين سنة 1000 ق .م وسنة 100م [1].

وقد امتد أثر اللغة الفينيقية بامتداد نشاطهم السياسي والتجاري ، فقد وجدت نصوص فينيقية في تل العمارنة بمصر ، وقد كان الفينيقيون مهتمين بالتجارة البحرية في البحر المتوسط ولهم نفوذ واسع فيه ، ويتبين ذلك من خلال النصوص الفينيقية الموجودة في قبرص ، وانتشرت في المحطات التجارية الفينيقية في البحر المتوسط ، فقد وجدت نقوش

---

(1) أسس علم اللغة العربية ص164 ،165 .

فينيقية في الساحل الأوربي في جنوب أسبانيا . وقد امتد أثر اللغة الفينيقية إلى المغرب ، فقد أسس الفينيقيون مدينة « قرت حدشت » على الساحل التونسي ، وقد أطلق على اللغة الفينيقية التي استخدمها الفنيقيون في شمال أفريقيا اسم « البونية »، وقد انتشرت في ساحل تونس على مرحلتين: البونية القديمة والبونية الحديثة . وتبدأ البونية الأولى بانتشار الفينيقين في منطقة الساحل التونسي في القرن التاسع قبل الميلاد ، وتنتهي بسقوط الكيان السياسي للدولة البونية سنة (146ق .م) حينما قضى الرومان على دولتهم بعد صراع على السيادة على البحر المتوسط ، فاستطاعوا احتلال عاصمة البونيين « قرطاجنة » واحتلوا المنطقة اللغوية البونية ، ودخلت البونية مرحلتها الثانية بعد احتلال الرومان ، فقد تأثرت اللغة البونية باللغة اللاتينية ، ودخلت ألفاظ منها ، وضعفت أصوات الحلق في اللغة البونية الجديدة تحت تأثير الرومانيين الذين غزوا البونيين [1] .

وقد حدث خلط في تدوين بعض الأصوات بالحروف ، فالبونيون خلطوا بين الكلمات التي تكتب بحرف العين والكلمات التي يجب أن تكتب بالهمزة ، وخلطوا كذلك بين الكلمات التي تكتب بالحاء والكلمات التي تكتب بالهاء ، وجاء هذه الخلط من تأثير اللغة اللاتينية في البونية الحديثة حيث تقلب العين البونية إلى همزة في اللاتينية وكذلك الحاء تقلب إلى هاء في النطق .

وقد تأثرت الكتابة البونية بما أدخله الرومان اللاتينيون إلى الأبجدية من حركات ، فقد أدخل البونيون الحركات على الكلمات تأثرا بالرومانيين واليونانيين، والمعروف أن الأجريتيين استحدثوا نظاماجديدا للكتابة أيسر مما وضعه السومريون والأكديون ، وقد قام الفينيقيون بتعديل الأبجدية ، وأخذها عنهم الرومانيون واليونانيون ، ولكن الآخرين قاموا بإدخال الحركات على الصوامت في الكتابة . فقد تعلم اليونانيون الكتابة الأبجدية أثناء احتكاكهم بالفينيقيين في القرن التاسع قبل الميلاد تقريبا، والكتابة الفينيقية امتداد مباشر للأبجدية الأجريتية ، وقد قام الأجريتيون بتبسيط نظام الكتابة وجعلوها أبجدية . واحتفظ الفينيقيون بفكرة النظام الأبجدي ، وتعلم اليونانيون الكتابة من الفينيقيين ، وأصبحت

---

(1) علم اللغة العربية ص162 .

الحركات واتجاه الكتابة سمتين تلازمان كل اللغات التي أخذت الأبجدية عن اليونانية ، وقد ساهم اليونانيون والرومانيون في تطوير النظام الأبجدي [1].

اللغة العبرية

اللغة العبرية هي الفرع الجنوبي من فروع الكنعانية ، وترجع هذه التسمية إلى اسم من تحدثوا بها وهم العبرانيون ، وهم بنو إسرائيل ، وقد سموا بالعبرانيين نسبة إلى عابر جد إبراهيم عليه السلام الأكبر ، وقد نسبوا إليه لشهرته في التاريخ ، وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق عليهما السلام ، وسموا باليهود نسبة ليهوذا بن يعقوب ، وقيل غير ذلك.

وترجع أهمية العبرية إلى أنها أهم اللغات الكنعانية على الإطلاق ، وأوسعها انتشارا ، وأكثرها نتاجا في مختلف فنون القول ، وقد دونت بها أسفار العهد القديم ، وعاشت أزهى عصورها الأدبية في دولة الأندلس الإسلامية التي عادت فيها للحياة مرة ثانية ، فقد شارك اليهود في الحياة الأدبية ، فكتبوا بالعبرية ، وسجلوا آدابهم بها ، وكتبوا قواعدها متأثرين في ذلك بنحاة وأدباء العرب [2].

وقد بدأ تاريخ اللغة العبرية في القرن الثاني عشر قبل الميلاد عندما دخلت قبيلة إسرائيل أرض فلسطين ، فتعلموا لهجة المنطقة التي حلوا بها واتخذوها لغة لهم ، وهي إحدى اللهجات الكنعانية ، وقد ظهرت عدة نقوش عبرية قليلة جدا ، وهي أقل من النقوش الفينيقية ، ولكن تم العثور على مجموعة نصوص دينية عرفت باسم لفائف البحر الميت dead Sea Scrolls ، وترجع إلى الفترة ما بين القرن الثالث قبل الميلاد والقرن الثاني الميلادي ، واللغة العبرية القديمة هي لغة العهد القديم ، وهو ما يدعى بالكتاب المقدس عند اليهود ، وقد دون الكتاب المقدس على مراحل متعاقبة ، وقد دون أول الأمر بالخط العبري غير المضبوط بالشكل أي أن النص المدون كان نصا يدون الصوامت ، ولا يدون الحركات القصيرة ، وقد وضعت الحركات في مرحلة تالية امتدت من القرن الخامس الميلادي حتى

---

(1) علم اللغة العربية ص163 ، 164 .

(2) ارجع إلى تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولنفس ، دار العلم ، بيروت ، ص77 ، 78 . والأمم السامية ، تاريخها وحضاراتها، حامد عبد القادر، نهضة مصر ص110 .

القرن التاسع الميلادي ، وقد وضع علماء العبرية الحركات متأثرين بالطريقة التي وضع بها النساطرة الشرقيون حركاتهم .

وأهم الكتب الدينية التي وضعها اليهود بالعبرية كتاب « المشنا » ، وهو الكتاب الثاني بعد العهد القديم ، ويعني المشنا التثنية أو التكرار ، وقد ألف هذا الكتاب بعد أن قضي الرومان على أخر كيان سياسي لليهود سنة 70م ، وقد كان رجال الدين يقرءون نص المشنا بالعبرية ثم يشرحونه باللهجة المحلية بعد أن عاش اليهود مختلطين بجماعات دينية أخرى تختلف معهم في اللغة ، ومن ثم تعددت شروح المشنا بتعدد اللهجات ، وقد سادت اللغة الآرامية في هذه الفترة ، وشرح بها علماء اليهود كتبهم العبرية . وكتب علماء اليهود المشنا بلغات متعددة ، وقد عرف الشرح بالتلمود ، وهو يتضمن المشنا وشرحه ، وقد « عرف التلمود البابلي » ، وهو يتألف من المشنا ومن الشرح المدون باللهجة الآرامية الفلسطينية ويسمى الجمارا ، والجمارا تعني النص المكمل أو الإكمال ، وهي تختلف باختلاف اللهجة الآرامية ، وباختلاف مؤلفيها [1] .

وقد عادت العبرية إلى الحياة مرة أخرى في ظل الدولة الأندلسية في العصور الوسطى ، وتأثرت بالثقافة العربية وجهود علماء اللغة العرب ، فقد شارك اليهود في الثقافة العربية مشاركة عميقة ، فكانوا يتعلمون العلوم العربية ، وألف اليهود كتبا بالعربية والعبرية ، ووضعوا قواعد العبرية متأثرين بقواعد العربية وكتبوا في اللغة العبرية ، وألفوا معاجم عبرية ، واستخدموا في ذلك الأبجدية العبرية والعربية . وعرفت هذه بالعبرية الوسيطة ، أما العبرية الحديثة فهي اللغة الرسمية الأولى في إسرائيل ، وتسمى (Evrit) .

وقد ظهرت العبرية في ثوب جديد حيث تأثرت باللغات الأوربية (لغات معظم المهاجرين) ، فدخلتها مفردات كثيرة منها ، وتأثرت بطريقة النطق الأوربية ، فاختفى النطق بأصوات الحلق والإطباق ، لأنها غير موجودة في اللغات الأوربية [2] .

---

(1) علم اللغة العربية ص169 ، 170 .

(2) علم اللغة العربية ص171 ، 172 . وأسس علم اللغة العربية 174 .

الفرع الآرامي

الآرامية لغة الآراميين الذين ينسبون إلى آرام ، وقيل إن آرام بن سام بن نوح عليه السلام ، والذي نميل إليه أن آرام اسم الأب الأكبر لهذه القبيلة التي تسمت باسمه ، ولا نعلم عنه شيئا ، وقد جاء نسبه في العهد القديم إلى نوح عليه السلام ، وقد شكك العلماء فيما ذكرته التوراة أن البشر ينقسمون على ثلاث أسر ، وهم أبناء سام ، وحام ، ويافث – من بعد الطوفان ، ولم يلتفت العهد القديم إلى ذكر شيء عن ذرية الذين آمنوا مع نوح، ونجوا معه ، ونظرية نقاء الجنس مرفوضة علميا ، وهذه فترة لم تتوافر لدينا معلومات كافية عنها غير ما حدثنا به العهد القديم ، وهو المصدر التاريخي الوحيد الذي نقل عنه العلماء ، وقد كتب في مرحلة متأخرة جدًا من بدء الخليقة الذي حدثنا عنه ، ولا ندري مصدره ، فقد دون العهد القديم على مراحل تاريخية متتابعة ، وقد تناول تاريخ البشرية تمهيدا لسرد تاريخ بني إسرائيل والحديث عن كل ما يتعلق بهم فنجد فيه: بدء الخليقة ، وإدريس وطوفان نوح عليهما السلام ، وإبراهيم ، وبنيه ، وتناول الفترة التاريخية التي تلت عهد موسى عليه السلام ، وما تعرض له اليهود من سبي والمعاناة التي عانوها أثناء السبي ببابل .

والهدف من وراء سرد الأحداث هو التأريخ لشعب إسرائيل المختار ، ولهذا تناولوا الأمم التي احتكت باليهود وخالطوهم ، ومن هؤلاء الآراميين ، وتشير المصادر إلى أن الآراميين قبيلة من القبائل السامية التي كانت تعيش بالبادية في الشمال الشرقي من جزيرة العرب على حدود بلاد العراق ، واستطاعوا أن يدخلوا إلى حوض نهر الفرات ، فاستقروا به ، وأسسوا دولة قوية في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وهاجر بعضهم إلى الشام فاستقروا بها .

ويضم الفرع الآرامي مجموعة من اللهجات المتقاربة في بنيتها تقاربا كبيرا ، وقد انتشرت هذه اللهجات في مناطق من الشام والعراق ، وتجاوزت هذه اللغة حدود الجزيرة فدخلت بلاد فارس ، فاتخذتها الدولة الفارسية لغة للدواوين فترة من تاريخها . وأهم

اللهجات الآرامية القديمة [1]:

أ- الآرامية القديمة ب- آرامية الدولة

جـ- السريانية د – النبطة

هـ - المندعية

أ – الآرامية القديمةأ

وهي الآرامية التي ترجع إلى الفترة بين القرن العاشر قبل الميلاد والقرن الثامن قبل الميلاد ، وقد وجدت نقوش هذه اللهجة في مناطق مختلفة من الشام والعراق ، وأهم مايميز الآرامية القديمة عن اللهجات الآرامية الأخرى ، أنها تستخدم القاف في كلمة « أرقا » ( ) ومعناها الأرض [2]. وتأتي في اللهجات الأخرى أرعا ( ) فقد تحولت الضاد ، وهي الأصل في السامية الأم إلى قاف في الآرامية القديمة ، وتحولت في اللهجات الأخرى إلى عين ، وهذا التحول الصوتي يعد غريبا على القانون الصوتي ، ويصعب تفسيره ، ومعنى هذا أن الضاد العربية هي الامتداد المباشر للضاد في اللغة السامية الأولى ، والتي تحتفظ العربية بالعديد من ظواهرها .

ب – آرامية الدولة

وهي الآرامية المستخدمة في النقوش الكثيرة التي دونت في القرون من السابع إلى الخامس قبل الميلاد ، وقد أطلق عليها هذا الاسم ، لأن دولة الفرس الأخمينيين اتخذت الآرامية لغة رسمية في الدولة ، وكان الآشوريون قد اتخذها في الدولة الآشورية على نطاق واسع بعد أن ضعف سلطانهم ، وغزت الآرامية أرضهم ، فقد استخدم الأشوريون الآرامية في الكتابة إلى جانب الأكدية حتى سقطت الدولة الآشورية سنة 625 ق .م على أيدي الفرس الأخمينيين ، ودخل العراق في إطار الإمبراطورية الفارسية واعترف حكام الفرس بالآرامية ، واتخذوها لغة رسمية في كل أنحاء الدولة ، ولعل سبب ذلك أن الآرامية قد

---

(1) ارجع إلى علم اللغة العربية ص172 ، 173 .

(2) علم اللغة العربية ص173 .

انتشرت ووجدت حتى داخل إيران نفسها ، وأصبحت الآرامية لغة دولية تستخدم في منطقة واسعة من العالم القديم في التعامل السياسي والتجاري بين أبنائها وغير أبنائها ، فقد تم العثور على نقوش آرامية في العراق والشام وإيران وشمال الجزيزة العربية ومنطقة أسوان بمصر ، كما وجدت بعض نقوش منها في آسيا الصغرى ، مما يؤكد انتشارها .

وقد دعم وجودها أن الدولة الفارسية جعلتها لغة الدواوين ، فأصبحت لغة التعامل الدولي في الشرق القديم حتى مطلع القرن الرابع قبل الميلاد حيث قامت دولة الفرس الساسانيين خلفا للأخمينيين ، فعدلوا عن استخدام الآرامية في الدواوين والإدارة ، وليس معنى ذلك انتهاء الآرامية ، فقد ظلت لغة الخطاب اليومي في العراق والشام ، وقد استطاعت خلال تلك الفترة (من القرن السابع إلى الخامس ق .م) أن تتغلب على لغات أخرى ، وتحل محلها مثل الأكدية في العراق والعبرية والفينيقية وغيرها من اللهجات في الشام حتى أصبحت اللغة الأولى في العراق والشام .

ج – السريانية

السريانية إحدى لهجات الآرامية ، وقد ارتبط هذا الاسم بانتشار المسيحية حيث عدل المسيحيون عن استخدام اسم الآرامية لارتباطه بالوثنية إلى اسم السريانية .

وقد انتشرت السريانية ، لتصبح لغة جماعة كبيرة تعيش في الشام والعراق بعد أن كانت في منطقة محدودة في شمال الشام . وقد ازدهرت السريانية مع انتشار المسيحية ، وارتبطت باليهودية ، فالسريانية تكون مع لغة التلمود البابلي والمندعية آرامية واحدة يطلق عليها المجموعة الشرقية ، وهي المجودة بالعراق ، وهذه اللهجات الثلاث تتفق في عدد كبير من الخصائص اللغوية ، فهي تتقارب من ناحية البنية اللغوية .

وقد تأثرت آرامية التلمود البابلي بالعبرية التي كتبت بها بعض أسفار التوراة ، وارتبطت باليهودية ، وأخذت مندعية الصابئة بالعراق اتجاها خاصا بها ، وتأثرت السريانية المسيحية في الشام بالثقافة السائدة ، وهي اليونانية ، وتأثرت كذلك بالفكر اليوناني القديم .

وقد حققت السريانية ازدهارا ثقافيا عظيما ، فقد قام علماء السريانية بالتأليف بها

والترجمة إليها مع بداية القرن الثالث الميلادي ، وظهرت مؤلفات كثيرة بها في الفترة من القرن الثالث الميلادي حتى القرن السابع ، ولكن حدث انقسام في المسيحية داخل الشام والعراق أدى إلى انشطارها إلى فرقتين: النساطرة واليعاقبة في القرن الخامس ، والنساطرة (نسبة إلى نسطوريس) وهم السريان الشرقيون الذين خضعوا لحكم الفرس بالعراق ، واليعاقبة (نسبة إلى يعقوب البراذعي) وهم السريان الغربيون الخاضعون آنذاك لحكم الرومان في الشام [1].

وقد أثر هذا الانقسام في اللغة حيث ظهرت فروق بها بعد انقسامها إلى غربية وشرقية متمثلة في هويتين ، كما حدث اختلاف في الأبجدية التي تطورت داخل الكنيستين فقد سلكت كل منهما طريقا خاصا بها في الكتابة والحركات .

وقد قامت السريانية بدور رائد في إثراء الثقافة العربية والإسلامية بالفكر اليوناني ، قد كان هناك احتكاك مباشر بين السريان واليونانيين ، وزاد الاختلاط بينهما بانتشار المسيحية في الدولة الرومانية ، فقام علماء السريانية بترجمة العديد من عيون التراث اليوناني الهليني إلى السريانية فتوّلد عن امتزاج التراث الهليني بالروح الشرقية ما عرف بالحضارة الهلينستية ، وهي الحضارة التي تولدت عن احتكاك اليونانيين بثقافة مصر والشام والعراق ، وهي المرحلة التي تبدأ بغزو الإسكندر مصر في القرن الرابع قبل الميلاد .

وقد قام علماء السريان بترجمة كثير من عيون التراث اليوناني إلى السريانية ، كما قاموا بترجمة هذا التراث من السريانية إلى العربية بعد انتشار الإسلام في الشام والعراق وانتصار العربية لغة القرآن الكريم على السريانية وغيرها من بقايا اللغات واللهجات في شمال الجزيرة ، وانزوت بقايا تلك اللغات في أماكن ضيقة ، كما ظلت السريانية في الشام لغة الكنيسة ، ومثلها القبطية التي انحسرت داخل الكنيسة بانتشار الإسلام والعربية في مصر ، ويحاول أهلها بعثها من جديد وإحياءها، وتحاول أعراق أخرى إحياء لغاتها، والقادة العرب يغطون في نومهم، وسَتُيقظهم نواقيس الخطر.

---

(1) اليعاقبة (اليعقوبية) فرقة من النصارى أتباع يعقوب البراذعي ، الذي عاش في الشام في القرن السادس للميلاد ، يقولون باتحاد اللاهوت والناسوت ، ويعرفون بأصحاب الطبيعية الواحدة .

اللهجات الآرامية اليهودية

لقد ذكرنا ونحن بصدد الحديث عن العبرية أن الآرامية استخدمت في كتابة بعض صفحات العهد القديم ، فالعهد القديم لم يكتب جميعه بالعبرية ، ففيه صفحات كانت بالآرامية ، وهي سفر عزرا 4/ 8-6 و18 ،7/ 12-26 وسفر دنيال 2/ 4- 7و28 ، وسفر إرميا 10/ 11 ، وهناك كلمتان آرميتان في سفر التكوين 31 ، 47 [1] .

وقد كان لانتشار الآرامية أثر بالغ الأهمية في اليهودية ، فقد أصبحت الآرامية لغة الخطاب اليومي لعامة اليهود ، وانحسرت العبرية داخل رجال الدين ، فنجمت ضرورة ترجمة أجزاء من العهد القديم إلى اللهجات الآرامية المحلية التي كان يتحدثها اليهود ، كما شرح العهد القديم بالآرامية شفويا ، وقد تحرج رجال الدين من تدوين الشروح حتى لا تختلط بنصوص العهد القديم ، ثم زال الحرج عن تلك الشروح المترجمة ، فدونت ، فظهر بذلك الترجوم البابلي ، والترجوم الفلسطيني ، والترجوم السامري ، وعرفت هذه جميعا بالترجوميم أي المترجمات . وقد مثل كل ترجوم منها لهجة المنطقة التي كتبت بها ، فلهجة الترجوم البابلي قريبة في كثير من الخصائص من باقي اللهجات الآرامية الشرقية ، ويمثل الترجوم الفلسطيني والترجوم السامري مع غيرهما لهجات الآرامية الغربية ، وقد دون اليهود هذه اللهجات التي تعد شروحا للعهد القديم بالخط العبري ، وعرفت كل ترجمة منها باسم التلمود ، وقد نتج عن ذلك دخول كثير من كلمات اللهجات الآرامية إلى العبرية ، وكتب أحبار اليهود وربانيوهم في فلسطين والعراق نصوصا أخرى باللهجات الآرامية ، ودخلت هذه النصوص في التلمودين البابلي والفلسطيني ، ويتكون التلمود البابلي من نص المشنا العبرية والشروح الآرامية ، وثمة اختلاف بين اللهجات المستخدمة في « الجمارا » ، وهي الشرح الآرامي في كلا التلمودين ، فكلاهما يمثل لهجة مختلفة عن الأخرى ، وكلاهما مكتوب بالخط العبري مثل الترجوميم [2] .

---

(1) علم اللغة العربية ص166 .

(2) علم اللغة العربية ص181 .

د – النبطية

النبطية لهجة آرامية كتب بها النبط نقوشهم حتى أواخر القرن الثالث الميلادي ، والنبط شعب عربي عاش في أقصى شمال الجزيرة العربية وجنوب بادية الشام وعاصمتهم « سلْع » وتعرف اليوم بالبتراء ، وقد احترفوا الرعي والزراعة ، ثم مارسوا النشاط التجاري بحكم موقعهم حتى حققوا مكانة كبيرة ، وأصبح لهم كيان سياسي يهدد جيرانهم ، وكانوا وسطاء تجاريين بين سكان منطقتي العراق والشام ، وسكان الجزيرة العربية ، فقد كانت قبائل العرب تتواصل معهم في معاملاتهم التجارية ، وتعلموا منهم الأبجدية السامية .

وكانت اللغة العربية لغتهم المحلية – ولكنهم تحدثوا الآرامية التي كانت سائدة آنذاك إلى جوار لغتهم العربية الأصلية وخاصة في معاملتهم مع جيرانهم وغيرهم ، فكانت الآرامية هي لغة التعامل مع غير العرب ، ولم تكن لهم أبجدية من ابتكارهم ، فاستعاروها من جيرانهم الفنيقيين ، وهي التي نكتب بها اليوم ، وقد تعلم العرب عنهم الكتابة ، والخط النبطي يعود إلى الخط الأجريتي على نحو غير مباشر ، ولكن الأرجح أنهم استعاروا النظام الكتابي من الفينيقيين الذين أخذوا أبجديتهم وطوروها عن الأجريتيين ، وقد قام الأنباط بتطوير هذا الخط بما يتفق مع لغتهم ، كما أنهم استخدموا خطوطا أخرى مثل الخط الآرامي ، وقد استدل العلماء على عروبة النبط بكثير من المفردات العربية المدونة بخط آرامي في نقوشهم ، مثل « آل » للدلالة عن النشاط القبلي ، « ولد » بمعنى أبناء ، « وجر » بمعنى قبر صخري ، « ضريح » بمعنى حجرة ، « إحدى » بمعنى واحدة، « غير » بمعناها الحالي ، وأداة التعريف « ال » والأفعال: هلك ، صنع ، لعن ، بمعانيها العربية وغيرها من الكلمات [1] .

هـ ـ المندَعية

وهي لهجة آرامية شرقية ارتبطت بجماعة دينية عرفت باسم الصابئة ، بالعراق ، ولهم كتاب مقدس يطلق عليه (جنزا) أي الكنز ، ويعرفون بالصابئة في الإسلام ، وما تزال لهم

---

(1) أسس علم اللغة العربية 187 .

بقية إلى اليوم في عدة قرى في جنوب العراق ، وهم يتعاملون داخليا بلهجتهم الآرامية إلى اليوم ، والتي تأثرت بالعربية ، فدخلها العديد من مفرداتها [1].

ويطلق عليها المندئية ، والمندائية ، وهما تسميتان صحيحتان إلى جوار الأولى « المندعية »، ثم فقد صوت العين في نطقهم ، فأبدل همزة .

القسم الجنوبي من اللغات السامية

ينقسم هذا على فرعين ، فرع العربية ، وفرع الحبشية ، وتتفرع العربية إلى شعبتين ، شعبة اللهجات العربية الجنوبية ، وتوجد في المنطقة التي تبدأ من عدن جنوب البحر الأحمر الشرقي ، وتمتد بموازاة المحيط حتى الخليج العربي ، وهي حاليا اليمن وسلطنة عمان ، وتعد هذا المنطقة هي الموطن الأصلي للهجرات العربية التي اتجهت نحو الشمال .

واللهجات العربية الشمالية هي لهجات القبائل التي سكنت الحجاز وباديه وساحل الخليج العربي وساحل البحر الأحمر حتى حدود الشام والعراق ، وقد ذابت هذه اللهجات في لهجة واحدة عرفت بالعربية الشمالية ، وهي التي نزل بها القرآن الكريم ، وعرفت بلسان قريش ، وهذا لا يعني انقراض اللهجات الأخرى ، بل أصبحت هناك لهجة مشتركة بين القبائل العربية ، وتمثلها لهجة قريش التي تحدث بها الشعراء والخطباء قبيل الإسلام ، فتلاشت الفروق بين اللهجات ، بزيادة التواصل والاختلاط من خلال المعاملات التجارية والتواصل الأدبي بين قبائل العرب في الأسواق والأندية والمحافل حتى جاء الإسلام فأصبحت لغة القرآن الكريم معيارًا للعربية الفصحى .

وقد كانت هناك لهجات عربية انتهت بهلاك متكلميها ، الذين أطلق عليهم العرب البائدة ، فلم تبق منهم باقية ولا من لهجاتهم ، وهم: عاد ، وثمود ، وجديس ، وطسم . وتوجد على الناحية الغربية من مضيق باب المندب منطقة داخل القارة الأفريقية تكلمت اللغة الحبشية وهي لغة سامية ، وتقع في حدود دولتي أثيوبيا وإريتريا .

---

(1) علم اللغة العربية ص 183 .

اللهجات العربية الجنوبية

يراد بها اللهجات القديمة التي سبقت الإسلام، وبقيت منها بقية إلى جوار العربية الشمالية التي حاصرت هذه اللهجات داخل مناطق نائية، وهي التي أشار علماء العربية إليها في حديثهم عن لهجات اليمن بأنها ليست كعربية الشماليين.

أهم اللهجات العربية الجنوبية القديمة: المعينية ، والسبئية ، والحميرية القديمة ، والقتبانية ، والحضرمية ، والهرمية .

أولا: المعينية

تنسب هذه اللهجة إلى منطقة معين بجنوب اليمن والتي قامت بها مملكة تعرف بمملكة معين في القرن الثامن ق .م .تقريبا ، وهي أقدم ممالك اليمن .

وقد وجدت نقوش هذه اللهجة في منطقة « معين قرناو » و « براقيش » ، كما وجدت أيضا في المستعمرة المعينية في « ديدان » وفي شمال غرب الجزيرة العربية ، وكانت متاخمة للبلاد الكنعانية ويبدو أن اللهجة المعينية لم تعمر طويلا ، فكل نقوشها ترجع إلى الفترة السابقة على الميلاد ، بينما ظلت اللهجة السبئية عدة قرون بعد هذا التاريخ .

وأهم ما يميزها عن السبئية استخدام الهاء في السبئية واستخدام السين في المعينية ، فوزن أفعل في العربية الشمالية التي كتب لها البقاء حتى اليوم بفضل القرآن الكريم يقابله وزن « هفعل » في السبئية ، ويقابله وزن « سفعل » في المعينية [1] .

ثانيًا: اللهجة السبئية

وهي اللهجة التي تنسب إلى مملكة سبأ التي قامت على أنقاض مملكة معين بعد أن استولت عليها ، وهي المملكة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: 22] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾[سبأ: 15] ، وتعد النقوش السبئية من أكثر ما وصل إلينا من نقوش العربية في جنوب الجزيرة ، وهي نقوش كتبت في

---

(1) علم اللغة العربية ص185 ، فقه اللغة الدكتور عبد الواحد وافي ص75 ، 76 .

حوالي ألف عام ، وقد وصلت إلينا تلك اللهجة عن طريق النقوش التي عثر عليها في بلاد اليمن ، وخاصة في مأرب من سبأ القديمة .

وقد ظلت مملكة سبأ قائمة حتى قام الأحباش بغزوها في أواخر القرن الرابع الميلادي ، ولكن اللهجة السبئية ظلت لها السيادة في أثناء حكم الأحباش . وأهم سمات هذه اللهجة استخدام الهاء في تكوين عدد من الصيغ الصرفية ، مثل وزن « هفعل » الذي يقابله وزن « أفعل » في العربية الشمالية ، وقد تسرب هذا الزمن إلى العربية الشمالية في صيغة الفعل «هراق» مثل: هراق الدم ، والذي يعد دخيلا من الجنوبية على الشمالية التي تستخدم وزن أفعل ، ولذا يعد أراق أصيلاً في العربية الشمالية .

وقد جاء في حديث صحيح أن النبي ﷺ قال لأصحابه عندما هموا بالأعرابي الذي بال في المسجد: « دعوه ، وهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبًا من ماء »[1].

ثالثا: اللهجة الحميرية القديمة

وهي اللهجة التي تنسب إلى جماعات حمير التي تولت الحكم في اليمن بعد طرد الأحباش سنة 400م ، وقد استحوذت هذه اللهجة على كثير من مظاهر السيادة والنفوذ الأدبي في بلاد اليمن . واللهجة الحميرية هي التي أدركها الإسلام في اليمن ، وتغلبت عليها العربية الشمالية ، والحميرية القديمة التي سبقت غزو العربية الشمالية كانت تختلف عن العربية الشمالية ، وهي التي عناها أبو عمرو بن العلاء بقوله « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » . وهو النص الذي وجهه بعض المحدثين إلى بتر العلاقة بين العربية الشمالية وبين لهجة اليمن ، فزعموا أن اليمن ليست لغتها عربية ، والحقيقة أن العربية الشمالية قد تغلبت على العربية الجنوبية قبيل الإسلام الذي جاء ، وأهل اليمن يتحدثون بلسان عرب الشمال ، فقد كانت وفود اليمن تأتي إلى المدينة ، وتتحدث مع النبي ﷺ دون ترجمان ، وكذلك في عهد الراشدين ، ولم يكن هناك اختلاف ، بيد أن هناك بعض جوانب الاختلاف في اللهجة مثل أداة التعريف « أم » التي جاءت في رواية أهل اللغة حديثًا منسوبًا إلى حديث

---

(1) ورواه البخاري في كتاب الوضوء ، وكتاب الأدب ، وابن ماجة في الطهارة ، والترمذي في الطهارة .

النمر بن تولب: « ليس من أمر امصيام في امسفر » أي: ليس من البر الصيام في السفر وهذا الحديث لا أصل له بهذا اللفظ في كتب الحديث، بل جاء في الصحيح بلفظ أهل الحجاز: «ليس من البر ...» [1] . وحديث أبي موسى الذي جاء فيه لفظ « السكين » فلم يفهمه ، وقال إنه يعني « المدية » بلغة اليمن ، وقد روى اللغويون ذلك. وقد ناقشنا موضوع لغة أهل اليمن في حديثنا عن اللغة الفصحى واللهجة والاحتجاج.

واللهجات واللغات التي تتعرض للانتشار أو تتراجع أمام لغة أخرى تترك وراءها بعض المفردات ، وبعض الظواهر التي تؤثر في اللغة التي حلت محلها ، كما أن متكلمي اللغة الوافدين متأثرين بلغتهم الأصلية في النطق ، وسيقع تأثير منهم لا محالة في اللغة التي اتخذوها بديلا لها .

رابعًا: القتبانية

وتنسب اللهجة القتبانية إلى مملكة قتبان في وادي بيحان وحريب شمالي عدن ، وقد قام صراع بينها وبين مملكة سبأ انتهى بتقويض قتبان واندماجها في مملكة سبأ في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد . وتشبه هذه اللهجة المعينية من ناحية استخدام السين في « سفعل » الذي يقابل وزن « أفعل » في العربية الشمالية [2] .

خامسا: الحضرمية

وهي التي تنسب إلى منطقة حضرموت ، وهي المنطقة التي نشأت فيها مملكة قوية ذات حضارة زاهرة ، وقد دخلت في صراع مع مملكة سبأ دام طويلا انتهى بانتصار سبأ . وقد عمرت اللهجة الحضرمية أكثر من اللهجة القتبانية وكلتا اللهجتين تشبه اللهجة المعينية في استخدام السين في وزن « أفعل » فتصبح « سفعل » [3] ، ولكن كل لهجة منهن لها جوانب تميزها عن الأخرى .

---

(1) رواه البخاري .

(2) فقه اللغة: ص 77 وعلم اللغة العربية ص186 .

(3) فقه اللغة ص186 .

سادسا: الهَرَمية

تنسب إلى منطقة هَرَم – بفتح الهاء والراء – والتي تقع غرب معين قرناو باليمن . وتعد من أقل اللهجات العربية الجنوبية شأنا وأقلها انتشارا ، وأهم خصائصها استخدام حرف الجر « من » مثل العربية الشمالية ، بينما تستخدم اللهجات الأخرى « بن »[1] . وقد بقيت اللهجة الهرمية حتى الآن يتحدث بها نحو ثلث مليون مواطن يعيشون في منطقة حدود اليمن مع سلطنة عمان والربع الخالي .

وتوجد لغات أخرى غير مشهورة مثل اللغة السقطرية ، وهي لغة قديمة يتحدث بها سكان منطقة سقطرة ، والجزر المجاورة لها في المحيط الهندي ، ولغة الشحر ، وهي لغة منتشرة في منطقة جبلية تقع شرق منطقة اللغة الهرمية ، وقد تأثرت باللغة العربية المعاصرة ، ولا تستخدم إلا في نطاق محلي فقط .

العربية الشمالية وانتشارها

العربية الشمالية هي لهجات القبائل الشمالية التي اتخذت لسانا مشتركا متقاربا في معظم مظاهره اللغوية ، وليس بين متكلميه فروقًا لغوية إلا فروقا يسيرة تميز أسلوب خطاب كل قبيلة من القبائل المشهورة وبطونها عن قبيلة أخرى لا تخالطها ، ولم يكتب لجميع هذه القبائل الانتشار أو الغلبة على غيرها ، فباد بعضها ، وغلب بعضها الأخر ، وأثر المغلوب في الغالب فترك فيه باقية ، وسوف نبين ذلك فيما يلي:

1- العرب البائدة: وهم الذين بادوا ودرست معظم آثارهم ، وانقطعت أخبارهم إلا ما حدثنا به القرآن الكريم من إشارات إلى هلاك عاد وثمود ، وحدثتنا الأخبار عن هلاك طسم ، وجديس ، وعملاق ، وأميم، وهم عرب أقحاح .

2- العرب الباقية ، وهم قسمان: العرب العاربة ، وهو بنو قحطان ، وهم عرب اليمن وقد هاجر بعضهم إلى الشمال والغرب إلى الساحل الإفريقي وهاجر بعضهم إلى الشرق إلى الساحل الفارسي ، ومن أشهر قبائلهم جرهم ، وكانت مساكنهم أولا باليمن ، ثم

---

(1) علم اللغة العربية ص186 .

انتقلوا إلى الحجاز ، فنزلوا بواد غير ذي زرع ، وأقاموا به ، وقد جاء ذكر الوادي الذي نزلوا به في القرآن في قول إبراهيم عليه السلام . قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم:37][1]. وقد دعا إبراهيم ربه للوادي وأهله ، فقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [البقرة: 128] ، واستجاب الله عز وجل دعاءه ، فعمر الوادي ، وأصبح مقصد الحجيج يهوون إليه، ومن القبائل القحطانية (العاربة): قبيلة يعرب ، وتشعب منها فرعان كبيران ، وهما حمير وكهلان .

أولا: قبائل حمير: سكنت حميرمشارف اليمن وظفار ، وما حولها ، وأشهر بطونها: قضاعة التي خرج منها: بلى ، وجهينة ، وقبيلة جهينة قد سكنت جميعا الحجاز ، ودخلت في الإسلام في عصر النبوة ، وقد حالفت النبي ﷺ ضد قريش قبل أن يسلموا جميعا . ومن أحياء قضاعة « كلب » ونزلوا دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام ، ومن قضاعة بنو نهل ، وكانت منازلهم باليمن ، فهذه قبائل حمير ومساكنهم .

ثانيا: قبائل كهلان: أشهر بطونها: الأزد (وقيل الأسد) ، ولها ثلاثة فروع: أزد شنوءة ، وأزد الشراة ، ونزلوا بأطراف اليمن ، وأزد عمان ، وعمان تعني قرية بالبحرين . وللأزد فروع أخرى ، وهم غسان: وكانت منازلهم قرب اليمن ، وهاجر بعضهم إلى الشام (وهم الذين ينسب إليهم ملوك الشام) ، ونزل بعضهم يثرب التي سكنها اليود قبلهم ، وهم الأوس والخزرج ، وهؤلاء بطون قبيلة الأزد التي تنتمي إلى القبيلة الأم كهلان .

ومن بطون كهلان طيىء ، وهاجروا من اليمن مثل غيرهم ، بعد انهيار السد ، فنزلوا بنجد والحجاز قريبا من بني أسد فغلبوهم على جبلي « أجا » و « سلمى » من بلاد نجد .

---

(1) معنى « أفئدة من الناس » حجاج بيت الله الحرام والله أعلم ، ارجع إلى الآية 37 من سورة إبراهيم تفسير ابن كثير ، المجلد الثاني .

ومن بطون كهلان مذحج ، ومنها فرعان لم يغادروا اليمن ، وهما خولان في شرق اليمن ، وبنو الحارث بن كعب بنواحي نجران فجاوروا بني ذهل. ومن بطون كهلان همدان ، سكنوا شرقي اليمن ، وهاجروا منها بعد الإسلام . ومن بطون كهلان كندة كان موطنهم الأصلي بحضرموت ثم هاجر بعضهم إلى الحجاز ، وأقاموا مملكة كندة بالحجاز من ناحية الخليج ، واتسعت حتى شملت العراق ، وحاول ملوكهم توحيد القبائل ، ولكن سرعان ما تقوض ملكها بعد أن تدخل الفرس في الصراع الذي قام بين ملوك كندة وملوك المناذرة بالعراق . ومن بطون كهلان مراد ، في بلاد زبيد من اليمن ، مساكنهم شمال اليمن ، وجيزان ، وسكنوا تبوك وأذرح وطبرية من أرض الأردن ، ولخم ، وموطنهم الأصلي اليمن ، ثم هاجروا إلى العراق ، وكان لهم ملك الحيرة من بلاد العراق ، وعرف ملوكهم بالمناذرة . والأشعريون ، وهم من كهلان القحطانية ، وديارهم الشقاق وزبيد من اليمن ، ومنهم الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ، وقد تركوا اليمن بعد سيل العرم ، ونزلوا قرب دمشق .

وموطن جميع هذه القبائل الأصلي هو اليمن ، واختلف المؤرخون في أسباب هجرة معظمهم من اليمن ، فبعضهم يعللها بانهيار سد مأرب ، وبعضهم يعللها بأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، وهؤلاء جميعا عرفوا بالقحطانية أو اليمينية ، وينسبون جميعا إلى حمير وكهلان فرعي يعرب بن قحطان ، وهم من ناحية الأصل أو الجنس عرب أقحاح خلص ، وقد استطاع سكان اليمن منهم أن يقيموا حضارة باليمن في فترة مبكرة من التاريخ ، وأسسوا ملكًا عظيما اتسعت حدوده ، وبلغ نفوذه العراق والشام في الشمال ، ومن أشهر ملوك اليمن تُبَّع ، وقد استخدم اليمنيون الكتابة التي عرفت بخط المسند ، وقد بقيت بعض آثارهم القديمة مكتوبا عليها بخط المسند ، الذي ينسب إلى أهل اليمن الجنوبيين ، وانتقل إلى الشمال بهجرة بعضهم إلى العراق والشام ووسط الجزيرة .

والقسم الثاني من العرب المستعربة: يتبين من الاسم أنهم ليسوا عربا أقحاحا بل امتزجت فيهم دماءالعرب بدماء ليست عربية فهم دخلاء في العروبة . وذكرنا آنفا أن العرب العاربة هم بنو قحطان ، وأن من أشهر قبائلهم جرهم ، ويعرب ، وقد تناولنا فروع

قبيلة يعرب ، كما ذكرنا أن جرهم هاجرت من اليمن لأسباب قدرها الله تعالى لتنزل إلى واد خال من السكان لا يسكنه سوى أم وطفلها هي هاجر وابنها إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقد تزوج إسماعيل عليه السلام من جرهم ، ونسل إسماعيل عليهما السلام هم العرب المستعربة ، فلم يكن إسماعيل عليه السلام عربيا بل كنعانيا ، وجرهم عربية قحة .

وقد عرفت العرب المستعربة بالعدنانية ، نسبة إلى عدنان جد النبي ﷺ ، وإليه ينتهي نسب قريش ، ولم يتحقق علماء الأنساب من أسماء من يعتليه من الآباء حتى الجد الأكبر إسماعيل عليه السلام . فسلسلة النسب تنقطع ما بين إسماعيل وعدنان لعدم معرفة بقيتها ، فتوقفوا عند عدنان ومن أولاد عدنان ، معد ، وكان عنده أربعة أولاد هم: إياد ، ونزار ، وقنص ، وأنمار ، ويقسم النسابون عدنان على فرعين كبيرين: هما ربيعة ، ومضر .

الفرع الأول ربيعة : منه أسد وضبيعة ،وديارهم بالجزيرة الفراتية بالعراق ، وتعرف بديار ربيعة . ومن بني أسد بنو عنزة ، وسكنوا نجد والحجاز ، ومن أسد جديلة ومن جديلة عبد القيس ، سكنوا تهمة ، ومن بني أسد بنو بكر بن وائل ، وقد سكنوا تهامة والبحرين ، ومن بني بكر بنو عجل ، وكانت منازلهم من اليمامة إلى البصرة . ودخلت قبائل من ربيعة نجد والحجاز وتهامة ، وهاجرت قبائل منها إلى اليمن ، فتيامنت .

الفرع الثاني مضر: وقد تشعبت مُضَر شعبتين ، وهما: قيس كعيلان ، وإلياس بن مضر ، وأقامت مضر بتهامة بعد خروج ربيعة منها ، ومن مضر هوازن التي سكنت تهامة وبركة، والسراة ، والطائف ، وذا المجاز، وحنين ، ومن هوازن بنو سعد الذين رضع فيهم النبي ﷺ ، وسكنوا نجد ، ومن هوزان بنو عامر بن صعصعة ، ومن بني عامر بنو كلاب ، وسكنوا اليمامة ، ثم انتقلوا إلى الشام ، ومن بني عامر بنو هلال ، وقد سكنوا الحجاز ونجد . ومن بني عامر بنو عقيل ، وقد سكنوا البحرين ، وبنو تغلب ، وبنو سليم ، وقد سكنوا البحرين ، ومن بني هوازن بنو جشم وقد سكنوا تهامة ، ومن بطون هوازن ثقيف بالطائف ، ومن قبائل قيس باهلة وسكنوا اليمامة . ومن قبائل قيس بنو غطفان ومنازلهم وادي القرى وجبل طيئ وأجاو سلمي ومن غطفان ذبيان ، ومن ذبيان فزارة . ومن قبائل

قيس أيضا: بنو سليم وسكنوا نجد قرب خيبر ، ومن قبائل قيس بنو عدوان ، وقد سكنوا الطائف .

وكان لإلياس بن مضر ثلاثة أولاد هم قمعة ، وطابخة ، ومدركة ، وقد تفرعت منهم فروع كثيرة .

أولا- طابخة: ومنه تهامة وسكنوا ظواهر نجد والحجاز وتميم طابخة وسكنت نجد وصحاريها ، ونزلت معها ضبة وعكل بن إياد ، فحلوا منازل بكر وتغلب ، ونزلوا ما بين اليمامة وهجر ، وانتقل بنو سعد بن زيد مناة بن تميم إلى يبرين حتى خالطوا بني عامر بن عبد القيس في قطر .

ثانيا- مدركة بن إلياس: وتنسب له قريش ، وقد أطلق اسم قريش على النضر (وقيل فهر بن مالك) بن كنانة بن خذيمة بن مدركة بن إلياس ، ولمدركة فرع آخر ذكره علماء الأنساب على حاشية عمود النسب وهو هذيل ، وهي قبيلة كبيرة ، وسكنوا نجد وتهامة ما بين مكة والمدينة . وهناك فرع وحيد هو خزيمة ومنه الهون ، وأسد ، وكانت أسد بطن كبير متسع ، وقد سكنوا الكرخ من أرض نجد [1].

وأجمع المحققون ورجال الأنساب أن قريشاً من نسل إسماعيل عليه السلام ، وقد جاء هذا في أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ [2] ، ولكنهم اختلفوا في ولد إسماعيل ، فابن إسحق يرى أن عدنان ولد رجلين هما معد بن عدنان ، وعك بن عدنان ، فنزل عك اليمن ، وتزوج من الأشعريين ، فصارت الدار واللغة واحدة ، والأشعريون نسبة إلى أشعر بن نابت من ولد كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان . وقال ابن إسحق: فمن مضر تفرقت القبائل من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ، فولد معد بن عدنان أربعة نفر: نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ، وقنص بن معد ، وإياد بن معد ، فأما قضاعة فتيامنت إلى حمير بن

---

(1) ارجع إلى اللهجات العربية في التراث 1/ 48 .

(2) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث م1/ 5 .

سبأ[1]. ولكن ذهب اليمنيون إلى أن قضاعة ليست من ولد إسماعيل بل من ولد قحطان ، فقالوا: قضاعة بن مالك بن حمير [2] ، واختلف علماء الأنساب في نسب الجذور الأولى ، ولسنا بصدد الخوض في تحقيق صحة الأنساب ، وإنما ننشد وضع تصور لحركة الهجرة العربية من الجنوب إلى الشمال ، وما صاحبها من انتشار العربية في الأماكن التي حلت بها الهجرات العربية .

وقد رأى العلماء أن العرب كلها من ولد إسماعيل وقحطان ، وذهبت قلة منهم إلى أن قحطان من ولد إسماعيل ، ويقولون إسماعيل أبو العرب كلها ، ولكن الرأي الأرجح أن أبناء قحطان عرب عاربة ، وأبناء إسماعيل عرب مستعربة ، وهو ما يراه معظم رجال الأنساب وعليه النسب . وقد ذكر ابن إسحق أن نزار بن معد ولد ثلاثة نفر: مضر بن نزار ، وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار ، وأضاف ابن هشام إيادا . فأنمار أبو خثعم وبجيله ، فولد بن نزار رجلين: إلياس بن مضر ، وعيلان بن مضر ، فولد إلياس بن مضر ثلاثة نفر: مدركة بن إلياس ، وطابخة ، وقمعة [3].

فولد مدركة بن إلياس رجلين: خذيمة بن مدركة ، وهذيل بن مدركة ، فولد خذيمة أربعة نفر: كنانة بن خذيمة ، وأسد بن خذيمة ، أسد بن خذيمة ، والهون بن خذيمة [4]. فولد كنانة بن خذيمة أربعة نفر: النضر بن كنانة ، ومالك ، وعبد مناة ، وملكان ، والنضر هو قريش هو اسم أطلق عليه ، فمن كان من ولده فهو قرشي [5]. فولد النضر (قريش) رجلين مالك بن النضر ، ويخلد بن النضر ، وتفرعت قريش هي الأخرى إلى بطون ، ولكنها لم تغادر مكة موطنهم الأصلي .

والهدف من وراء سرد أنساب القبائل ومواطنها معرفة حركة اللغة العربية في الجزيرة

---

(1) السيرة م 1/ 7 .

(2) السيرةم 1/ 7 .

(3) السيرة م 1/ 79 ، 80 .

(4) السيرة 1/ 101 .

(5) نفسه 1 ص102 .

العربية ، فقد انطلقت أولا من الجنوب ، الذي قامت به حضارة وعمران ، ثم تعرضت هذه المنطقة لظروف قاسية ، فأصبحت منطقة طرد سكاني ، فخرج كثير من سكانها بلغتهم إلى الأماكن التي حلوا بها ، ونلاحظ أيضا أن العرب تغلبوا على السكان الأصليين في المناطق التي نزلوها فمنطقة العراق سكنها من قبلهم الأكديون والآشوريون أبناء عمومتهم من الساميين ، وكان يسكن الشام الكنعانيون ، وقد تعربت هذه المناطق تعريبا شبه كامل بعد الفتح الإسلامي ، وهنالك سؤال يطرح نفسه أين اللهجات العربية الجنوبية وأثرها ، فلم يصل إلينا إلا من عرف باللهجة الشمالية التي عرفت بلغة قريش مجازا ، ولا نستطيع إلا أن نقول إن الهجرات المتتالية والاحتكاك المباشر بين القبائل العربية حققا شيئا من الوحدة اللغوية ، فزالت فروق اللهجات شيئا فشيئا في ظل انفتاح القبائل العربية على بعضها ، فأصبح هناك تواصل لغوي مشترك أعانت عليه أسباب كثيرة منها ، النشاط التجاري والأدبي والعلاقات الاجتماعية كالمصاهرة ، والعلاقات السياسية كالأحلاف الحربية ، وأهم أداتين عجلتا بالوحدة اللغوية الشعر والخطابة كنشاطين أدبيين في الجاهلية . فقد كانت أسواق الجاهلية ملتقى أدبيا واسعا تجمعت إليه العرب ، فيسمعون الشعراء والخطباء والحكماء والقصاص ، فظهر إلى جوار هذه الفنون الكلامية فن آخر وهو المباريات الكلامية أو المنافرات أو فن المحاجة بأن يطرح أحد الطرفين مجموعة من المقدمات يفتخر فيها بقومه ونفسه ، فيرد عليه الآخر بماله ولقومه ، ويسعى كل منهما إلى التفوق على الآخر بماله من أدوات إقناعية لغوية وجدالية .

ولقد عالج هذا التوصل مشكلة اختلاف اللهجات والتباين بينهن ، وقد قام صراع لغوي بين العربية وبين اللغات غير العربية في شمال الجزيرة بالعراق والشام ، وقد لاحت رايات انتصار العربية بالعراق ، والشام بعد أن تغلبت لغة قبائل العرب على الكيانات السياسية الواهية في العراق وكذلك في الشام ، وذهب سلطانهم السياسي في هذه المناطق وضاعت لغاتهم بضياع ملكهم ، فلم يبق من لغاتهم إلا بقايا تعيش داخل الأديرة والكنائس والمعابد وبعض القرى النائية . فجاء الإسلام فأجهز على البقية الباقية من هذه اللغات ، فتعربت هذه المناطق ، وامتد التعريب ، فشمل مناطق أخرى فتحها المسلمون في أفريقيا

وآسيا . ولقد عجل الانهيار السياسي في هذه الأمم بنهاية لغاتهم ولهجاتهم ، فقد لعبت السياسة دورا مهما في انتشار العربية في المناطق التي وطئتها جيوش الإسلام .

لقد كان هناك احتكاك مباشر بين عرب الشمال وعرب الجنوب ساعد على غلبة لغة الشمال في اليمن بعد صراع مع لهجات اليمن قبيل الإسلام ، وبعد تدهور الحياة السياسية ، تفتت سلطان اليمن سياسيا ، وانتقل الثقل السياسي والتجاري إلى شمال الجزيرة متمثلا في مكة وما جاورها من أحلافها من القبائل . وقد تمكنت لغة الشمال من الانتصار على لهجات اليمن لأسباب منها:

أولا– أن اللهجات العربية الشمالية في العصر الجاهلي أرقى كثيرا من اللهجات اليمنية ثقافة وأدبا ، وأغزر مفردات ، وأدق قواعد ، وأقدر منها على التعبير في مختلف فنون القول .

ثانيا– زيادة النفوذ العربي الشمالي في مجال التجارة والسياسة والثقافة والأدب ، وقد تمثل ذلك في قريش التي حققت منزلة دينية بين العرب ، فقصدها العرب من كل صوب للتجارة والحج ، وقد قامت بها أسواق قصدها العرب ، فتحول الثقل السياسي من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالها .

ثالثا– انهيار الحياة الاقتصادية والسياسية في اليمن ، وذلك لأسباب منها انهيار سد مأرب ، والصراعات السياسية داخل اليمن التي أوهنتها ، ثم الاحتلال الحبشي ثم الفارسي لها .

وقد استطاعت عربية الشمال أن تتغلب على لهجات اليمن ، وتبين من الأحاديث التي رويت عن وفود أهل اليمن إلى النبي ﷺ أنهم كانوا يتواصلون مع النبي ﷺ والصحابة دون ترجمان . ولقد أصبحت في الجزيرة العربية وحدة لغوية قبيل الإسلام الذي أزال بقية الفروق اللهجية بين قبائل العرب ، وقربت بينهم ، والوحدة اللغوية تعني اللسان المشترك بين مجموعة بشرية والذي تتلاشى فيه الفروق واللهجات غير المعروفة لمجموع تلك الجماعة، أو ذوبان اللهجات وما بينها من فروق في لغة واحدة مشتركة يتواصل بها أفراد مجتمع ما أو عدم التعدد اللغوي داخل مجتمع يتفوق في كثير من الخصائص .

وقد قامت وحدة لغوية في الجزيرة العربية قبيل الإسلام ، وقد كانت الجزيرة العربية حتى حدود الشام والعراق متعددة اللغات واللهجات ، فجنوب الجزيرة اليمن يحتوي على لهجات تختلف عن لهجات أهل الشمال ، كما هاجرت قبائل عربية ، فسكنت العراق والشام وفلسطين ، ولكنها لم تقض على بقايا اللغات السامية المتمثلة في الآرامية في ثوبها الأخير (السريانية ولهجاتها) ، وقد تم القضاء على بقايا الساميات في الشام والعراق بعد انتشار الإسلام هناك ودخول معظم أهلها فيه ، فتعرب لسانهم بلسان القرآن الكريم ، ولسان القبائل التي نزلت العراق والشام ، وامتد التعريب إلى شمال أفريقيا ، وكاد أن يتم تعريب فارس (إيران) و(تركيا) لولا أن ظهرت نعرات عرقية لأسباب سياسية حالت دون ذلك .

ولم تكن هناك حدود فاصلة بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، ولم توجد منافسة ثقافية ، ولم يتعصب أهل الجنوب للهجاتهم ، وإنما انخرطت الجزيرة في تطورها الطبيعي ، وقد تحول الثقل السياسي والاقتصادي من جنوب الجزيرة إلى شمالها حيث تقطن قريش التي زاد نفوذها التجاري ، وظهرت أهميتها بين العرب ، وزاد من مكانتها وضعها الديني فهم رعاة الحرم الشريف ، فقصدها العرب في تجارتهم وحجهم ، وظهرت بها الأسواق ، وتباري بها ا لشعراء والخطباء ، فدخلت لهجة قريش في صراع مع لهجات العرب فانصهرت فيها ، وصارت لهجتها تشكل لغة التعامل المشترك بين القبائل متعددة اللهجات ، وقد مكن لها ذلك وقوعها مركزا تجاريا يتلاقى فيه العرب ، ومقصدا دينيا يؤمه العرب من شتى الجزيرة ومن هاجر منهم إلى أطراف العراق والشام ، وقد تم ذلك قبيل الإسلام ، وقد نزل القرآن الكريم بلسان قريش ، فمكن لهذا اللسان على غيره بين قبائل العرب ، ليصبح اللسان المشترك الذي يتفقون عليه ، فشكل وحدة لغوية بين جميع العرب والمسلمين ، وصارت لغة القرآن الكريم هي المعيار الذي يقيس عليه العرب صحة لسانهم ونطقهم ، وتلاشي ما دون ذلك من لهجات مختلفة ، وكان من الممكن أن تستقل وتشكل لغات متفرقة تتباين فيما بينها مثل كثير من اللغات الأوربية التي كانت تشكل لهجة من لغة أم ، ثم استقلت وصارت لغة لها خصائصها الخالصة بمرور الوقت وانقطاع الصلة باللغة الأم .

الكتابة العربية:

تنقسم الكتابة العربية على قسمين ، وهما [1]: الكتابة العربية الجنوبية والكتابة العربية الشمالية ، وتختلف الكتابة العربية الشمالية عن الكتابة العربية الجنوبية اختلافا بينا من ناحية الأشكال المستخدمة في كل منهما ، ولكن لا يمكن دراسة فرع بعيدا عن الآخر ، كما لا يمكن الفصل بينها وبين الكتابة السامية الشمالية المتمثلة في الفينيقية والآرامية والعبرية ، وذلك لوجود صلة بين العرب الشماليين والجنوبيين وكذلك وجود صلة بين العرب والساميين .

ويمكن تقسيم الكتابات السامية على ثلاثة أقسام:

أولا- الكتابة العربية الشمالية: وتضم الخطب العربي الذي ما يزال مستعملا الآن والخطوط الثمودية واللحيانية .

ثانيا- الكتابة العربية الجنوبية: وتضم الخطوط المعينية والسبئية والحميرية والقتبنية والحضرمية والأوسانية .

ثالثا- الكتابة الحبشية قديما وحديثا ، وهي في الأصل مأخوذة من الكتابة العربية الجنوبية .

ويلاحظ أن الخطوط الثمودية والصفوية واللحيانية ، ذات صلة بالخطوط العربية الجنوبية ، ويرجح العلماء أن الشماليين استعاروا كتابتهم هذه من الجنوبيين ، أما الكتابة العربية الشمالية التي ما تزال مستعملة حتى اليوم فمأخوذة عن الخط النبطي ، وهو خط سامي شمالي ذو صلة بالخط الفينيقي [2]. ويتبين من تلك الكشوف أن العرب استخدموا أربعة خطوط ثلاثة منها عربية وهي: الثمودية ، والصفوية ، واللحانية ، والخط الرابع استعاره العرب الشماليون في مرحلة متأخرة ، فقد تعلموه من الأنباط ، فانتشر بينهم ، وهو غير عربي الأصل .

---

(1) الكتابة العربية السامية ص105 ، 106 .

(2) الكتابة العربية السامية 105 ، 106 .

1- الخط الثمودي: لقد عثر العلماء على نحو ألفي نقش ثمودي ، معظمها في الحجاز ونجد ، كما عثروا على بعض منها في الصفاة (شرق دمشق) وفي سيناء ، ويرجع تاريخ هذه النقوش إلى نحو نصف قرن قبل الميلاد . ويرجح العلماء أن النقوش الثمودية الحجازية أقدم من النقوش الثمودية النجدية ، وقد تكون الأخيرة مستعارة من الأشكال المستعملة في النقوش الحجازية [1].

وتتضمن النقوش الثمودية ستة أشكال غير موجودة في الكتابة السامية الشمالية ، وهي أشكال الأصوات الآتية: ث Ṯ ، خ ḫ ، ذ ḏ ، ض ḍ ، غ ġ ، س (السين العبرية ś سامخ) ، وهو حرف الصفير .

2- الخط الصفوي: وقد عثر العلماء على نقوش له تزيد عن عدد النقوش الثمودية وأكثرها من منطقة الصفاة ، ومن بادية الشام . ويوجد شبه بين هذا الخط والخط الثمودي ، ويرجح العلماء أنه مشتق منه ، ويعدونه من المرحلة الثانية للخط الثمودي ، وترجع تلك النقوش إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين [2].

ويتضمن هذا الخط ستة أشكال غير موجودة في الكتابة السامية الشمالية ، وهي نفسها التي تميزت بها الثمودية عن السامية الشمالية (ث ، خ ، ذ ، ض ، غ ، س (سامخ) صوت الصفير ، بالإضافة إلى الصوت (ظاء) Ẓ فيكون مجموع تلك الأصوات سبعة .

3- الخط اللحياني: وقد تم اكتشافه عام 1889 في منطقة العلا شمال الحجاز ، ويطلق عليه النقوش الديدانية ، لأن بعضها يرجع إلى عهد ديدان ما بين 700 و 400 ق.م ، وتتميز هذه النقوش عن السامية الشمالية بالرموز الستة الموجودة في الثمودية غير أن ظ (Z) غير وارد فيها . والذي يجمع بين الخطوط الثمودية والصفوية واللحيانية هي أنها جميعا قريبة من الخط المسند [3]. الذي يرجع إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد تقريبا .

---

(1) الكتابة العربية السامية ص106 ، 108 .

(2) الكتابة العربية السامية ص109 .

(3) الكتابة العربية السامية ص 109 .

والخط المسند مكتوب بعناية فائقة وبأشكال هندسية متناسقة ومزواة ، فأشكاله قائمة على أعمدة منصبة عموديا ، بشكل دقيق ومنظم ، الأمر الذي يميزه عن الخط الفينيقي ، ويرجع ذلك لصفتين ، وهما:

أولا: المحافظة على الأشكال وكراهية التطور السريع ، لأنه كان يعتمد على الحفر على الحجارة والمعادن والخشب ... إلخ ، في حين أن الكتابة الفينيقية مرت بمراحل تطور ، وتميل إلى السهولة والسرعة ، لأنها كانت تحفر وتكتب على الآنية وتلون وتزين ، وهذا كان كان يفقدها بعضا من تناسقها واستقامة خطوطها .

ثانيا: صفة التناسق الهندسي ، فالأسطر مفرقة بمسافات متساوية ، وابتداء الكتابة وانتهاؤها غالبا عند نقطة واحدة في الأسطر الكاملة ، ويفصل بين الكلمات بفواصل عمودية يناسب شكلها الطبيعية العمودية أو المسندة في معظم الأشكال [1]. وكتابة المسند كانت تتبع الطريقة الحلزونية أو الثعبانية ، وهي أن يبتدئ السطر الأول من اليمين ، والثاني من الشمال ، والثالث من اليمين ، وهكذا في حين أن الكتابة الفينيقية استخدمت الاتجاه الواحد .

4- خط الألفباء المعاصر: وهو الخط الذي يرجع إلى الأبجدية السامية القديمة وترتيبها القديم (أبجد هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، كرشت) ، وقد مر هذا الخط بمراحل تطور متعددة ، والأجريتيون هم أول من طوره ، وهذبه ، ثم أخذه الفينيقيون عنهم ، وأحدثوا فيه تطويرا أيضا ، وقد وصلت الأبجدية إلى قبائل العرب الشمالية عن طرق جيرانهم الأنباط ، وهم عرب أيضا ، ويتحدثون الآرامية التي كانت سائدة في الشام والعراق ، وهو ما سهل عليهم تعلم الخط الأبجدي من الفينيقيين ، وارتبط بعلاقات تجارية مع بعض العرب ، فتعلموا منهم الخط الأبجدي ، وانتشر بين قبائل العرب بفضل الإسلام الذي ارتبط بالعلم والتعلم .

وقد أدخل علماء المسلمين على الأبجدية تطويرا كبيرا ليفي بحاجة العربية ، وزادوا

---

(1) الكتابة العربية السامية ص 112 .

فيها الشكل والنقط . والروايات جميعها تجمع أن العرب تعلموا الخط من الأنباط ، واختلف في أول من تعلمه ، وهذا الاختلاف وارد لصعوبة تحديد الأشخاص الذين تعلموا هذا الخط في فترة مبكرة لم يصلنا منها كتاب مخطوط أو نقش ينسب لكاتب . والروايات التي تشير إلى شخص بعينه لا تنفي أن غيره قد تعلمه ، فلا يعقل أن رجلا واحدا ينسب إليه تعليم أمة الخط ، فالروايات تؤكد أن قريشا كان فيها رجال كثيرون يعرفون الخط ، فقد كتبوا صحيفة المقاطعة ووضعت في جوف الكعبة ، وكان يعيش في مكة ورقة بن نوفل ، وهو من المتحنفين وكانت لديه صحف يقرأها ، وقصة إسلام عمر رضي الله عنه بعد أن اطلع على صحيفة فيها بعض آي القرآن مشهورة ، وتسير كثير من الأخبار أن بعض عرب الجاهلية كانوا يكتبون ، ولكن الكتابة لم تكن شائعة في قبائل العرب ، وقد كانت صدورهم أوعية يحفظون فيها شعرهم وحكمهم وأمثالهم ، وقد وصفهم القرآن الكريم بالأميين ؛ لأن حياتهم أشبه بالبداوة ، والكتابة قرينة العمران والاستقرار ، قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾ [الجمعة: 2] وأطلق عليهم أهل الكتاب اسم الأميين .

والخط الذي استعمله العرب كان رسميا غير منقوط ، ولم تكن الكتابة به محكمة جيدا ، ولهذا وقع في كتابة المصاحف اختلاف في رسم بعض الكلمات عن الخط الذي نكتب به الآن ؛ لأن المصحف الشريف كتب قبل التطوير الأخير ، فقام علماء العربية بتهذيب الخط وإحكامه ، فأضافوا إليه النقط والشكل ، وأعادوا ترتيب الأبجدية من أبجدهوز إلى ترتيب جديد توضع فيه الحروف المتشابهة متجاورة (ء أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ...) وبدأ اهتمام العرب بالخط والكتابة منذ نزول القرآن الكريم ، فأصبحت الكتابة فنا وصناعة يحرص عليها الكتاب ، ليصلوا إلى مناصب في الدولة ، وبلغ الكاتب منزلة عظيمة في الدولة تقلد فيها الوزراة ، والحجابة ، وقيادة الجيش .

والأبجدية العربية الحديثة مقطعية ، فهي ترمز للصوامت والصوائت، والحرف يشير إلى الصوت دون حركته التي تصاحبه في الكلمة وتظهر حركة الصامت مع الحركات الطويلة فقط نحو: «قا» في «قائل»، ولكنها لا تظهر مع القصيرة ، فاضطر العلماء لوضع الشكل أو رموز تبين حركة الصوت ، كالفتحة ، والكسرة ، والضمة ، ووضعوا السكون رمزا لعدم

الحركة ، وأشارت الألف والواو ، والياء للحركات الطويلة .

اللغات السامية في الحبشة:

الحبشة هي المنطقة الشرقية من قارة أفريقيا التي تشترك مع الجزيرة العربية في باب المندب والجزء الجنوبي من البحر الأحمر والتي تمثلها أثيوبيا وأريتريا حاليا وتسمى القرن الأفريقي .

وقد هاجرت قبائل عربية قديمة إلى هذه المنطقة ، وانتقلت معها لغتها ، وقد تمت هذه الهجرة في القرن السابع قبل الميلاد تقريبا ، فهناك نقش عربي جنوبي في أريتريا يشير إلى هذه الفترة ، وقد عرف الباحثون أسماء بعض القبائل التي هاجرت عابرة باب المندب إلى أفريقيا ، ونقلت معها لغتها السامية إلى هذه لمنطقة ، وأهم هذه القبائل قبيلة « حبشت » وقبيلة « الأجعازي » ، وقد أطلق العرب على هذه المنطقة اسم الحبشة نسبة إلى القبيلة الأولى حبشت ، وعرفت في التاريخ العربي بهذا الاسم . بينما أطلق على اللغة الجعزية نسبة إلى القبيلة الثانية ، ويطلق عليها أيضا اسم لغة الحبشة أو اللغة الأثيوبية ، وأصبح أثيوبيا علما لهذه المنطقة بعد أن تحول الأحباش إلى المسيحية ، وكلمة أثيوبيا كانت توصف بها منطقة البحر الأحمر جنوب مصر ، وقد أطلق عليها الرحالة الأوربيون القدماء هذا الاسم على هذه المنطقة من البحر ، وجاء ذكرها في الكتاب المقدس ، فاستخدمه الأحباش بعد دخولهم في المسيحية باعتباره اسما مقدسا جاء ذكره في الكتاب المقدس .

فليست كل اللغات القديمة والحديثة في منطقة الحبشة من أسرة اللغات السامية ، فقد عرفت المنطقة لغات كثيرة أخرى ، كان يتحدث بها السكان الأصليون من الحاميين ، وما تزال الحبشة تضم لغات غير سامية مثل لغة ساهو ولغة الجالا . والمقصود باللغات السامية في الحبشة تلك اللغات التي نشأت عن العربية الجنوبية القديمة [1] . بعد هجرتها إليها وهي الأمهرية والتيجرينية والتيجرية والهررية والجوارجية .

اللغة الجعزية:

تعد لغد الجعز أقدم لغة سامية في الحبشة ، ويرى بعض العلماء أن الحبشة شهدت تنوعا لغويا ، وأن لغة الجعز هي لغة إحدى القبائل التي سيطرت على منطقة الجنوب ، وأن أخرى

---

(1) علم اللغة العربية 187 .

وجدت إلى جانبها ، ولكنها لم تدون إلا بعد ذلك بقرون طويلة ، كما يرى بعض العلماء أن كل اللغات السامية في الحبشة ترجع إلى لغة الجعز ، ويرجع سبب اختلاف العلماء في أصل اللغات السامية في الحبشة إلى إنها لم تدون إلا في فترة متأخرة ، وليست هناك مصادر كافية تفيد البحث حول نشأتها الأولى ، كما أن النقوش الجعزية قليلة .

ويعد دخول الأحباش في المسيحية أهم حدث أثر في لغتهم في بداية القرن الرابع الميلادي حيث دونوا بعض نصوصهم الدينية باللغة الجعزية ، وكان الكتاب المقدس أول كتاب ترجم إليها ، وتُرجم إلى جانب عدة نصوص دينية ، وأدبية ، ولكن بعد القرن السابع الميلادي توقف نشاط الكتابة والترجمة ، وأغلب الظن أن معظم ما كتب وترجم قام به المبشرون الذين وفدوا إلى الحبشة ، فنقلوا بعض الأدب والقصص والنصوص عن السريانية واليونانية ، ومر نحو أربعة قرون ، وقد توقف التأليف والترجمة ، ولم يصل من تلك الفترة أثر مدون أو كتاب ، ولكن المعرفة بالخط الجعزي ظلت متوارثة داخل رجال الكنيسة حيث يقوم رجال الدين بالوعظ بلغة الجعز ويقرءون بلغتهم ، فارتبطت لغة الجعز بالكنيسة [1] .

وازدهرت لغة الجعز مرة ثانية في ظل حركة التأليف بلغة الجعز ، ولكنها ارتبطت بالكنيسة ، وكانت كنيسة الحبشة تابعة لكنيسة مصر الأرثوذكسية والتي تعربت ، فترجمت أعمال رجال الدين القبطية من العربية إلى الجعزية ، ودون الأحباش تاريخهم بالجعزية تدعيما لشريعة حكم الأسرة السليمانية ، ولم تكن اللغة الجعزية آنذاك لغة الخطاب اليومي ، ولكنها ظلت من القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر لغة الكنيسة والثقافة الدينية والتدوين التاريخي، وظهرت مع بداية القرن الثالث عشر لغات تفرعت عن اللغة الجعزية أو تعد امتدادا لها [2] . وأهم اللغات التي تفرعت عن اللغة الجعزية: الأمهرية ، والتيجرينية ، والتيجرية ، والهررية ، والجوراجية .

أولا الأمهرية: وتنسب إلى منطقة أمهر ، وهي من أكثر اللغات انتشارا في الحبشة الآن ، كما أنها أصبحت اللغة الرسمية ، ولغة التدوين ، والكتابة منذ القرن التاسع عشر

---

(1) أسس علم اللغة العربية ص194 ، 195 .

(2) علم اللغة العربية ص189 ، 190 .

واحتكت باللهجات الحامية الأخرى ، وتأثرت بها كما اتسعت داخل حدودها ، وكان من أثر ذلك عليها أنه:

1- لم يبق من أصوات الحلق إلا الهاء والهمزة .

2- دخلها كثير من الألفاظ الأفريقية المجاورة وكثير من الألفاظ الأوربية .

3- تغيرت فيها جميع القواعد السامية ، فتغير شكل الضمائر ، وانقرضت منها قواعد الجمع والتأنيث .

وقد بدأ تدوين هذه اللغة في القرن الرابع عشر ، وتوجد بها عدة أناشيد ملكية وأمهرية ترجع إلى هذه الفترة تقريبا ، وقد قام المبشرون اليسوعيون بترجمة العهد الجديد إلى اللغة الأمهرية ، ليفهمه الشعب الحبشي الذي شاعت فيها الأمهرية ، فلم تكن الطقوس الجعزية مفهومة في الكنيسة الأرثوذكسية ، وكان هدفهم تحويل الشعب إلى المذهب الكاثوليكي ، ولكنهم طردوا من الحبشة .

وبدأ ازدهار الأمهرية في منتصف القرن التاسع عشر حتى صارت اللغة الرسمية ، ولغة التعليم . ولا تزال الأمهرية محتفظة بوحدتها ، على الرغم من سعة انتشارها ، فليس بين لهجاتها المختلفة إلا فروق يسيرة ، وقد دخلتها في الآونة الأخيرة ألفاظ أوربية كثيرة في ظل الاستعمار والاحتكاك الثقافي . كما أنها تأثرت كثيرا ، باللغات الكوشية الحامية التي يتحدث بها من جاورهم من الأفارقة والجماعات التي تعيش داخل الحبشة .

ثانيا: التيجرينية: تنسب إلى منطقة « تيجرينيا » التي تتوسطها مدينة « أكوم » ، وتعد اللغة التيجرينية أقرب اللغات السامية في الحبشة من لغة الجعز القديمة ، ويقترب عدد المتكلمين بها من نحو مليونين ، وقد اتخذتها أريتريا لغة رسمية لها 1952م قبل أن تستولى عليها أثيوبيا ، ويدين بعض المتحدثين بها بالدين الإسلامي وبعضهم الآخر بالمسيحية . وتعد هذه اللغة أقرب اللغات السامية في الحبشة – إلى لغة الجعز القديمة ، ويندر استخدام هذه اللغة في الكتابة [1] .

---

(1) أسس علم اللغة العربية ص196 .

ثالثا: التيجرية: وتقع هذه اللغة في المناطق الواقعة في الشمال من منطقة اللهجة التيجرينية (تجرينيا) ، وهي لغة ما يزيد عن ربع مليون في الحبشة وفي إقليم كسلا في السودان وأكثره من المسلمين ، ولا تستخدم لغة كتابة بل لغة تخاطب فحسب . وقد تأثرت هذه اللهجة كثيرا باللغة العربية ، لأن أكثر المتكلمين بها من المسلمين ، وكان ذلك من أهم العوامل التي جعلتها تقاوم الأمهرية المسيحية ، والمسلمون في أريتريا وأثيوبيا يرتبطون بمصر على مر التاريخ باعتبارها مركز الثقافة الإسلامية ، كما تعد اللغة العربية في كل هذه المناطق الإسلامية لغة الثقافة ولغة التعامل بين القبائل ذات اللغات المختلفة ، وقد زاد هذا الارتباط بالعروبة بعد استقلال أريتريا عن أثيوبيا [1].

رابعا: الهررية: وهي لغة سكان مدينة هرر ، وكلهم من المسلمين ، وقد تفرعت من اللغة الأمهرية ، لكنها بعدت عن أصلها بعدا كبيرا ، حتى أصبحت غير مفهومة للأمهريين، ويرجع ذلك إلى أنها تأثرت بلهجات حامية غير اللهجات الحامية التي احتكت بها الأمهرية ، كما أنها تأثرت باللغة العربية ، فمعظم متكلميها من المسلمين ، وتعد الهررية هي اللغة السامية الحبشية الوحيدة التي تكتب بالخط العربي .

خامسا: الجوارجية: وهي مجموعة لهجات تكلم بها جماعة في منطقة جوراجيا مختلفة الأديان – مسلمون ومسيحيون ووثنيون – وقد تفرعت هذه اللهجات عن الأمهرية ، ولكنها أحيطت بظروف خاصة أبعدتها عن أصلها بل وجعلت منها لهجات متميزة عن بعضها [2].

وتوجد لغات أخرى ذات انتشار محدود في الحبشة مثل لغة جفت ، ولغة أرجبا .

الخط السامي الحبشي

لقد هاجرت قبائل عربية من جنوب الجزيرة إلى المنطقة المقابلة لهم في شرق أفريقيا ، ولم تكن المسافة بعيدة عنهم ، فهي من أقرب المواضع الأفريقية إليهم .

---

(1) علم اللغة العربية ص191 .

(2) علم اللغة ص191 .

وقد قام العرب الساميون بنقل نظامهم الكتابي من اليمن إلى الحبشة ، وأحدثوا فيه تغيرات ، وأضافوا إليه ، وعرفت بالكتابة الحبشية ، فقد استطاع الأحباش أن يضعوا لأنفسهم نظاما كتابيا خاصا بهم يعد تطورا للخط العربي الجنوبي ، وقد تم ذلك في منتصف القرن الرابع الميلادي تقريبا .

وهذا لا يعني انتهاء الخط العربي الجنوبي ، فقد وجدت نقوش في هذه الفترة مكتوبة بالخط العربي الجنوبي وأخرى مكتوبة بالحبشية ، وأهم ما أحدثه الأحباش في الخط العربي الجنوبي ، هو أن الخط العربي كان يكتب الصوامت دون الصوائت ، ولكن الأحباش اتبعوا النظام المقطعي ، فأحدثوا في الأشكال الأصلية علامات دالة على الصوائت حيث تصحب الحرف الصامت علامة تدل على الصائت ، ومن يجيد قراءة الخط يستطيع أن ينطق الصوائت من خلال الخط نفسه ، ويتعرف على النطق الصحيح ، وهذا الأمر تفتقد إليه الأبجديات التي لا تسجل الحركات ، ولكن هناك عثرة أخرى في طريق الكتابة الحبشية ، وهي تعدد أشكال الرمز الكتابي ، وكثرة الرموز الكتابية ، وهذا يسبب مشقة على متعلمي هذا الخط .

ويزيد عدد الأشكال الكتابية المستعملة في الكتابات السامية الجنوبية عامة عن عدد الأشكال المستعملة في الكتابات السامية الشمالية ، فالعربية الشمالية والجنوبية والحبشية توجد بها أصوات لا وجود لها في عداد اللغات السامية الشمالية مثل: ث ، خ ، ذ ، ض، ظ ، غ (ġ, ẓ, ḍ, ḏ, ḥ, ṯ) فالتاء العربية يقابلها الشين العبرية (ש) ، والخاء العربية يقابلها الحاء العبرية (ח) ، والذال العربية يقابلها الزاي العبرية ، (I) والضاد العربية يقابلها الصاد العبرية (צ) وكذلك الغين العربية يقابلها العين العبرية (ע) . أما الحبشية فإن عدد أصواتها أقل من عدد الأشكال المستعملة في العربية الشمالية أو الجنوبية رغم أنه يزيد عن عدد الأصوات في اللغات الشمالية ، فالعربية الجنوبية بها أربع أشكال لأصوات ساقطة في الحبشية وهي: السين ، والذال ، والثاء ، والغين ، فالذال تحولت إلى صوت «Ẓ» الزاي في الحبشية (H) .

وقد تأثرت الحبشية باليونانية حيث تتجه الحبشية من اليسار إلى اليمن ، وقد تستخدم الطريقة الحلزونية أو الثعبانية، وأخذ صوت « p » والذي ترمز له بـ « T » من اليونانية ،

وليس له مقابل في العربية الجنوبية ، كما ترجم كثير من التراث اليوناني الديني إلى الحبشية[1] .

وأهم ما يميز الخط الحبشي أن صور أشكال الخط المسند المزواة ، والتي تأخذ شكل زوايا حادة وقائمة تحول إلى أشكال مدورة يمكن رسمها بجرة قلم واحدة في الحبسية ، كما أن الأحباش جعلوا حروفهم ذات طول واحد لتظهر منسقة في الكتابة .

وقد كانت الخطوط السامية تكتفي بالرمز للصامت دون الصائت ، والصوامت كانت تعطي فكرة عامة عن الكلمة بينما تعطي الصوائت دلالات مختلفة للكلمة ، ويتحدد دلالتها في المعنى ، وقد قام الأحباش بإضافة علامات للأشكال التي استعاروها من العربية الجنوبية أو خط المسند ، لتعطي تلك العلامات دلالة نطق الحرف الكلمة ، ورغم تأثرها بالثقافة اليونانية وأبجديتها إلا أنهم لم يتبعوا طريقة اليونانيين بوضع رموز مستقلة للصوائت ، ولكنهم أضافوا إلى خط المسند علامات للحركات ، ومن ثم زاد عدد أشكال الكتابة الحبشية ، فاللغة الحبشية تحتوي 26 صوتًا ، ولكل صوت رمز كتابي ، ولكل رمز كتابي سبعة أشكال مختلفة تعبر عن الحركات القصيرة والطويلة والسكون ، فتعددت أشكال الحروف ، وكثر عددها (182 حرفًا) .

وقد يقول قائل قد كان أولى بهم أن يتبعوا طريقة اليونانيين في الرمز إلى الصوامت والصوائت ، وأقول له: إن نظام الكتابة يرجع إلى طبيعة كل لغة ويتأثر بها ، ولا توجد لغة في العالم تخلو من نقد في قواعدها أو كتابتها ، فاللغات يشوبها نقص في جانب من جوانبها لما يطرأ عليها من تطور ، وليست هناك أفضلية للغة على لغة، فقد شاء الله أن تتعدد الألسنة ، وأن تتخذ كل أمة لسانًا يعبر عنها تراه أفضل وأرقى من غيره .

---

(1) الكتابة العربية والسامية ص185 .

الخصائص المشتركة في اللغات السامية [1]:

أولا- الخصائص الصوتية:

1- توجد في اللغات السامية مجموعة أصوات الحلق: الهمزة ، والهاء ، والعين ، الحاء ، والغين ، والخاء . وقد احتفظت العربية من بين اللغات السامية بهذه الأصوات جميعها ولكن بعضها قد اختفي من بعض اللغات السامية تحت تأثير اللغات الأخرى التي لا توجد بها مثل هذه الألفاظ ، وحدث لها بعض التغيرات في عدد من اللغات كما هو في العربية ، فقد حلت العين محل العين والغين ، وهما صوتان كانت تميز بينهما اللغة الأم ، وقد حافظت العربية على هذين الصوتين دون أن يحل أحدهما محل الآخر .

2- توجد في السامية مجموعة أصوات مطبقة يتخذ اللسان في نطقها شكلا مقعرا يشبه الطبق ، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، وقد احتفظت العربية بهذه الأصوات جميعها ، وقد حدث لها تغيرات في بعض اللغات السامية ، فقد حلت الصاد محل الصاد والضاد ، والظاء . وقد جمع العلماء الأصوات التي يقع فيها قلب إلى أصوات أخرى في « بجد كبت » فالباء تقلب فاء ، والجيم غينا ، والدال ذالا، والكاف خاء والباء فاء ثقيلة، والتاء ثاء .

3- يقوم بناء الكلمة في اللغات السامية على أساس الصوامت والوزن ، فمشتقات فعل يرتبط معناها الأساسي بالفاء والعين اللام ، والوزن يدل على المعنى الدقيق للكلمة ، مثل كلمة «فاعل» تدل على من قام بالفعل .

ثانيًا- الخصائص النحوية:

1- تصنف الصيغ في اللغات السامية من ناحية الجنس النحوي إلى مذكر ومؤنث .

2- وتصنف من ناحية العدد إلى مفرد ومثنى وجمع .

---

(1) المدخل إلى علم اللغة ، دكتور محمود فهمي حجازي ص97 وما بعدها .

3- تميز اللغات السامية بين ثلاث حالات في إعراب الاسم ، فبها نهاية للمرفوع ، وأخرى للمنصوب ، وثالثة للمجرور ، ويتضح هذا بصفة خاصة في الأكدية والعربية اللتين احتفظتا بعلامات الإعراب .

ثالثًا- الخصائص الدلالية:

يوجد عدد من المفردات المشتركة الأساسية في اللغات السامية تقسم على النحو الآتي:

- ألفاظ خاصة بجسم الإنسان: رأس ، عين ، يد ، رجل ، شعر .
- ألفاظ خاصة بالنبات والحيوان: قمح ، سنبلة ، قلب ، ذئب .
- بعض الأفعال الأساسية: ولد ، مات ، قام ، زرع .
- الأعداد الأساسية: من اثنين حتى عشرة .
- حروف الجر الأساسية: من ، على ، في ،
- توجد كثير من المواد اللغوية المشتركة في هذه اللغات مثل: لحم ، أهل .

****

والحمد لله رب العالمين

الدكتور محمود عكاشة

(*) لقد أعددت بعض مسودات هذا الكتاب بالزمالك سنة 1999م (اللغات السامية) ، وبعضها بالهرم 1997م (اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة) ، وبعضها في أماكن أخرى ، واستكملت بقية الكتاب بالأسكندرية 2002م، وقد انتهيت منه في 15 شعبان 1423 هـ ، أكتوبر 2002م ، ولله الحمد والمنة .

المراجع والمصادر

- الأحكام في أصول الأحكام ، مكتبة الخانجي ، ط1/ 1345هـ .
- أساس البلاغة ، محمود جار الله الزمخشري ، صادر ، بيروت .
- أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، ط 1352 هـ .
- أسس علم اللغة ، ماريوباي . ترجمة أحمد مختار عمر 1994 ، 1418هـ .
- أسس علم اللغة العربية ، الدكتور محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة 1979م .
- الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1995م .
- أطلس أصوات اللغة العربية ، دكتور وفاء البيه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م .
- الاقتراح في أصول النحو وجدله ، السيوطي ، تحقيق محمود فجال ، مطبعة الثغر ، ط1 ،1409 هـ .
- إملاء ما مَنّ به الرحمن في إعراب القرآن . عبد الله بن الحسين العكبري ، دار الشام للتراث .
- الأمم السامية ، تاريخها وحضارتها ، حامد عبد القادر . نهضة مصر .
- بحوث ومقالات في اللغة ، الدكتور رمضان عبد التواب ، ط2/ 1418هـ - 1988م .
- بناء الجملة العربية ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف . دار الشروق ، ط1/ 1996م ، 1416هـ .
- البيان والتبيين ، عمرو بن عثمان الجاحظ ، المكتبة العصرية 2000م ، 1421هـ .
- تاريخ اللغات السامية ، إسرائيل ولفنس ، دار العلم ، بيروت .
- تأويل مشكل القرآن ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد صقر ، ط2/ دار التراث .

- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ، الدكتور محمود عكاشة ، ط1/ 2002م ، 1422هـ .
- تفسير الطبري ، عالم الكتب ، لبنان .
- تفسير القرطبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- تفسير ابن كثير ، المكتبة التوفيقية (د . ت) .
- تفسير النسقي ، دار الكتاب العربي . لبنان .
- ثورة الاتصال ، نشأة أيدلوجية ، فليب بروتون ، سيبرج برو ، ترجمة هالة عبد الرؤوف مراد . دار المستقبل العربي 1993م .
- الحُجة في القراءات السبع . ابن خالويه ، تحقيق عبد العال سالم ، دار الشروق ، ط2/ 1397هـ ، 1977م .
- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية 1371هـ 1952م .
- الخطاب السياسي في مصر ، دراسة لغوية ، الدكتور محمود عكاشة ، كلية الألسن 2000م ، 1421هـ .
- دراسات في علم اللغة . القسم الثاني – د . كمال بشر . دار المعارف . مصر .
- دراسات لغوية ، عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، 1995م .
- دروس في الألسنية العامة ، فردينان دي سوسير ، تعريب صالح الفرماوي ، محمد الشاوش ، الدار العربية للكتاب .
- الدلالة اللفظية ، الدكتور محمود عكاشة ، مكتبة الأنجلو ، 2002م ، 1423هـ .
- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق حسن هنداوي ، دار العلم ، بيروت ، ط1/ 1405 ، 1985م .
- السيرة النبوية ، ابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دارالتراث .

- شرح ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، ط20/ 1400هـ 1980م .
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ، ابن فارس ، تحقيق السيد أحمد صقر . ط عيسى البابي الحلبي . مصر .
- في علم اللغة العربية ، الدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة دار الشباب .
- العبارة ، أبو علي بن سينا ، تحقيق محمود الخضري ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1978م .
- العربية والغموض ، دراسة لغوية في دلالة المبنى علي المعنى . الدكتور حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1988م .
- علم اللغة الاجتماعي « مدخل » ، الدكتور كمال محمد بشر ، دار الثقافة 1994م .
- علم اللغة ، علي عبد الواحد وافي ، نهضة مصر ، ط7 .
- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ، الدكتور محمود السعران ، دار الفكر 1992م .
- علم اللغة بين القديم والحديث ، عبد الغفار هلال ، ط2 .
- علم اللغة (العام) عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب . القاهرة .
- علم اللغة العربية ، الدكتور محمود فهمي حجازي ، وكالة المطبوعات . الكويت .
- غريب القرآن المنسوب إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنه ، تحقيق أحمد بولوط ، مكتبة الزهراء ، ط1/ 1413هـ 1993م .
- الكتاب ، سيبويه ، مكتبة الخانجي 1982م ، 1412هـ .
- الكتابة العربية السامية ، ودراسة تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين ، دكتور رمزي بعلبكي . دار العلم للملايين .
- اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها ، الدكتور نايف خرما والدكتور على حجاج ، عالم المعرفة . الكويت . عدد 126 ، 1408 هـ 1988م .

- اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة ، الدكتور محمد العبد ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ط1/ 1990م .
- اللهجات العربية في التراث ، علم الدِّين الجندي ، الدار العربية للكتاب .
- فقه اللغة ، دكتور محمد خضر ، ط1401هـ 1981م .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، تحقيق علي الجندي ناصف ، وعبد الفتاح شلبي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، 1414هـ ، 1994م .
- المدخل إلى علم اللغة ، الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي .
- المدخل إلى علم اللغة ، الدكتور محمود فهمي حجازي ، دار الثقافة 1976م .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد جلال المولى وآخرين ، دار إحياء الكتب العربية ، ط3 .
- مسائل نافع بن الأزرق ، جمع وتحقيق أحمد الدالي ، الجفان الجابي ، دمشق هـ 1993م .
- مصادر البحث اللغوي: الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، مكتبة الشباب ، 1991م .
- مقدمة لدراسة فقه اللغة ، الدكتور محمد أحمد أبو الفرج ، ط1/ 1996م .
- مناهج البحث في اللغة والمعاجم ، دكتور عبد الغفار حامد ، ط/ 1411هـ ، 1991م .
- منهج البحث في الأدب ، ماييه ، ترجمة محمد مندور ، دار العلم للملايين 1946م .
- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، د . علي عبد الواحد ، دار نهضة مصر .
- وصف المباني في شرح حروف المعاني ، للمالقي . دار ابن خلدون .